مستلة

من مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
العدد التاسع

الاستشراق اليهودى خصائصه.. وأباطيله

الدكتور/ عبدالعزيز المرشدى
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
جامعة الأزهر

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد .

فإن الحق سبحانه وتعالى قد ذكرنا بأن أهل الكتاب سيحاولون بكل ما أتوا من قوة أن ينالوا من عقيدة الإسلام السمحة وشريعته الغراء وتاريخه الناصع . حيث قال : ﴿ **وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ... الآية** ﴾ [آل عمران :١٨٦] .

وقد صدق الله . فقد كان الاستشراق أحد الأبواق التي أنطلق من خلالها الكيد للإسلام والمسلمين .

وحركة الاستشراق – كما هو معلوم – في مفهومه العام قديمة قدم الحقد على الإسلام وهي وإن بدأت صليبية النزعة بيد أن اليهود قد ركبوا الموجة بعد ذلك وتحالفوا مع النصارى متظاهرين بلباس العلم والتجرد العلمي في الوقت الذي كانوا فيه أبعد ما يكونون عن النزاهة والحياد .

وحسب علمي لم يهتم أحد بالاستشراق اليهودي . حيث رأينا من الباحثين من يصنف المستشرقين إلى سياسيين وجامعيين ومجمعين .

كما فعل نذير حمدان . ومن الباحثين من صنفهم جغرافياً حسب البلدان كما فعل العقيقي . ومنهم من صنفهم حسب موقفهم من الإسلام كما فعل محمد قطب ... الخ .

لهذا رأيت أن يكون البحث قائماً على تصنيف المستشرقين إلى يهود ونصارى، وأن يقتصر البحث على المستشرقين اليهود وقد راعيت فيه الإختصار حسب طبيعة البحث .

وقد بدأت هذا البحث بذكر معجم للمستشرقين اليهود رتبته حسب الترتيب الأبجدي ، ثم ذكرت خصائص الاستشراق اليهودي وبعد ذلك ذكرت أباطيلهم حول العقيدة والوحي والنبوة والشريعة الإسلامية ، وقد شفعت كل ذلك بردود مختصرة أو مطولة حسب ما تدعو إليه الضرورة .

وأرجو الله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مفهوم الاستشراق

من الواضح أن كلمة الاستشراق مشتقة من مادة شرق يقال شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت . ومما يسترعي الانتباه أن كلمة الاستشراق والتي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة ، وليس عدم ورودها في المعاجم اللغوية يمنع الباحث من الوصول إلى المعنى الحقيقي استناداً إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق حيث يبدو أن معنى استشرق : أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم [١] .

وبعض المصادر اللغوية الحديثة تقول استشرق طلب علوم الشرق ولغاتهم يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة[٢]، والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق وآدابه [٣] .

ويذهب الدكتور محمود حمدي زقزوق إلى أن للاستشراق معنيان معنى عام ومعنى خاص .

فأما المعنى العام فهو كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه وأوسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه.

وأما المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق فهو الذي يعني بالدراسات المتعلقة بالشرق الإسلامي ، في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده

---

(١) د. أحمد السايح – مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية ص٤١، مركز الكتاب للنشر .

(٢) معجم متن اللغة ، الشيخ أحمد رضا جـ٣ ص٣١١ .

(٣) د. أحمد سما يلوفتس – فلسفة الاستشراق ص٢٢ .

وتشريعاته وحضارته بوجه عام .. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه في عالمنا الإسلامي عندما يطلق لفظ مستشرق واستشراق [١] .

نشأته :

إن المفهوم العلمي لكلمتي الاستشراق والتشرق قد مرّ بأدوار مختلفة منذ عام ١٦٨٣ عندما كان يعني أحد أعضاء الكنيسة الشرقية إلى يومنا هذا حيث أصبح يعني التبحر في إحدى لغات الشرق وآدابها، فكان هذا التبحر شرطًا أساسيًا في عالم الاستشراق .

والاستشراق وإن وجد منذ العصور الوسطى إلا أنه كفكرة علمية قد نال حظاً عظيماً في القرن الثامن عشر .

ويبدو من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وأن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصراني يؤرّخ لبدء الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي في عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية [٢] .

وأرى أن التاريخ الرسمي لبداية الاستشراق لا يعني أن الفكرة ذاتها لم تكن موجودة وإن كنت أرجح أن الاستشراق من حيث المفهوم الخاص قد تزامن مع قضايا التبشير النصراني غير أنه لم يكن ذا قواعد وأسس وضمن مؤسسات رسمية كما عليه الآن، ولذا يرى الدكتور زقزوق أن بداية الاستشراق والاهتمام بالإسلام من قبل

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص١٨ .

(٢) مواجهة الغزو الفكري ص٤٧ .

الأوربيين تزامن مع وجود الصراع بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية (١) .

أهداف الاستشراق :

ويبدو للباحث أن للاستشراق أسباباً كثيرة ودوافع متعددة نفسية وتاريخية واقتصادية وأيديولوجية ودينية وعلمية واستعمارية بجانب بعض الأسباب الثانوية الشخصية والمزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ والمال واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر والترحال او في الإطلاع على ثقافات العالم القديم (٢) .

ويرى الدكتور محمد البهي أن السبب الرئيسي من كل تلك الأسباب هو الديني حيث تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة وجاءت حركة الإصلاح الدين المسيحي فشعر المسيحيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية .

ونحن نرى أنه وإن وافقنا الدكتور البهي في كون العامل الديني يمثل العامل الأساسي في العملية الاستشراقية إلا أننا لا نوافقه في تعليل ذلك بأن الغرب أراد دراسة علوم الشرق لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية ، أو التبشير بالنصرانية بين المسلمين ، خاصة ونحن نعلم أن أشهر رجالات الاستشراق كانوا من اليهود ، اللهم إلا إذا قصد أن الحركة الاستشراقية في بدايتها كانت نصرانية الهدف ، ثم

---

(١) الاستشراق ص٧٣ .

(٢) فلسفة الاستشراق ص٣٢ ، مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية ص٤٥ .

دخل رجال اليهود بعد ذلك .

ومما لا شك فيه أن عداوة اليهود والنصارى للإسلام ليست وليدة الحروب الصليبية ، بل إن عداوة اليهود ظهرت منذ صدع رسول الله بالدعوة إلى الإسلام في مكة حين ذهب أهل قريش ليستشيروا اليهود في شأن محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته، فأجابوهم بأنهم على هدى أفضل مما يدعو إليه محمد ﴿ **وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً** ﴾ (١) ثم ما كان من إخراجهم من جزيرة العرب .

أما عداء الغرب الصليبي للإسلام فذلك منذ أن قلَّم المسلمون أظافر الدولة الرومانية وأجلوهم عن أرض العرب على يد خالد وعمرو وأبي عبيدة وغيرهم .



(١) سورة النساء الآية : ٥١ .

أعلام المستشرقين اليهود

ابراهام جيجر **Ebraham geeiger** (١٨٧٤-١٨٩٠م)

حبر يهودي ألماني تناول بالدراسة المشابهة بين القرآن وبين الكتب المقدسة عند اليهود .

ولد في فرنكفورت ، وشرع في تعلم العلوم الدينية اليهودية على يد أخيه سلمون ثم تعلم العربية واليونانية، وفي عام١٨٣٢ صار حبراً وأصدر محلة بعنوان (المجلة العلمية للاهوت اليهودي عام١٨٣٥، وكان يكتب فيها عن كبار علماء اليهود) .

وكان صاحب نشاط ملحوظ في التجمعات اليهودية وفي عام ١٨٧٢ أنشأ (المدرسة العليا لعلم اليهودية) في برلين وكان مديراً لها حتى وفاته.

أهم مؤلفاته : (ماذا أخذ محمد من اليهود) وفي هذا الكتاب يظهر التعصب الأعمى والنزعة المغالية . حيث عقد مقارنة بين القرآن والمشناة، ويعد جيجر هو أول من ذهب إلى أن القرآن قد تأثر بالتراث اليهودي (١) .

اسئينشنيدر **Steinschneicder** (١٨١٦-١٩٠٧م)

مستشرق نمساوي يهودي برز في الدراسات العبرية . ولد في ٣٠ مارس ١٨١٦ من أسرة يهودية متعصبة ، تعلم العبرية في صباه على يد والده (يعقوب) الذي كان عالماً بالتلمود ، وقد سافر إلى براغ

(١) موسوعة المستشرقين للدكتور/ عبد الرحمن بدوي ص٢٢ دار العلم للملايين - بيروت .

عام ١٨٢٣ وأقام بها لتكملة دراسته التلمودية . وقد بدأ ينشر بين أصدقائه نوعاً من الحركة الصهيونية .

ووضع هو وزميل له دائرة معارف يهودية ثم انتقل إلى برلين عام١٨٥٩ وعين مدرساً في معهد (هينة أفرايم" وظل يدرس ٤٨ عاماً، وكان في الفترة من ١٨٦٠ -١٨٦٨ممثلاً للطائفة اليهودية لدى الإدارة الحكومية) . ثم عين مديراً لمدرسة البنات الخاصة بالطائفة اليهودية إلى أن هلك عام ١٩٠٧م .

ومن أهم مؤلفاته : (الإسلام واليهودية) (الكتب المؤلفة ضد اليهود)(الأدب الشعبي عند اليهود) [١] .

اشبر نجر **SPRENGER** (١٨١٣-١٨٩٣م)

مستشرق نمساوي، اشتهر بكتابه (حياة محمد وتعاليمه) وكتابه هذا يقطر حقداً على الإسلام ورسول الإسلام . حيث ذكر أن قصة شق صدر النبي ﷺ من قبيل الأساطير، وأن النبي كانت تنتابه نوبات عصبية وهسترية ، وأن كثيراً من عناصر الدين الإسلامي كان مصدرها الدين اليهودي والمسيحي .

وقد سافر هذا المستشرق إلى باريس ثم إلى لندن حيث حصل على الجنسية الإنجليزية ، وقد زار كلاً من مصر والشام والعراق والهند .

وقد هلك في ١٨٩٣/١٢/١٩ وهو في الحادية والثمانين من عمره[٢].

---

(١) نفس المصدر ص ٣٨ .

(٢) موسوعة المستشرقين ص٢٨، وأنظر أيضاً كتاب المستشرقون للأستاذ / نجيب العقيقي ==

اشتراوس Strauss (١٨٩٩-١٩٧٣م)

مستشرق ومؤرخ يهودي ، عنى بالفلسفة السياسية عند الفارابي وموسى بن ميمون .

ولد في ألمانيا سنة ١٨٩٩ والتحق بأكاديمية الأبحاث اليهودية في برلين عام ١٩٣٣ ثم هاجر إلى أمريكا ، وصار أستاذا في علم السياسة في جامعة شيكاغو ، واستمر حتى تقاعده عام ١٩٦٨م .

ومن أهم مؤلفاته : (الفلسفة والشريعة) وهو دراسات للمقارنة بين آراء الفارابي وآراء موسى بن ميمون . وقد هلك عام ١٩٧٣م، وكانت أخت التي توفيت بحمى النفاس في الإسكندرية عام ١٩٤٢م زوجة للمستشرق اليهودي " كراوس)[١].

أوبرمن : Oberman (١٨٨٨-١٩٥٦م)

مستشرق ألماني يهودي. ولد في وارسو عاصمة بولندا عام ١٨٨٨وقام بتدريس اللغات السامية في جامعة همبورج من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢٢ وهاجر إلى الولايات ا لمتحدة الأمريكية . حيث عمل أستاذا في المعهد اليهودي للديانة في نيويورك ، ثم عمل أستاذاً في جامعة ييل .

وفي عام ١٩٤٤م صار مشرفاً على السلسلة اليهودية التي كانت تصدرها جامعة ييل واستمر في هذا العمل حتى تقاعده، وهلك في عام ١٩٥٦م .

== ص٦٣١ . طبعة دار المعارف – مصر .

(١) الموسوعة ص٣٣ ، المستشرقون ص٦٢٢ .

من أهم مؤلفاته (مشكلة العلية عند العرب) وكتابه (النزعة الذاتية الفلسفية والدينية عند الغزالي) [١] .

أوجست فشر August Fischer (١٨٦٥-١٩٤٩م)

مستشرق ألماني يهودي من أتباع (فليشر) المستشرق الألماني المعروف . وقد حصل على الدكتوراه عام ١٨٨٩م من جامعة هلّه الألمانية وكانت بعنوان (تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن إسحاق) .

ثم عمل في معهد اللغات الشرقية في برلين ، ثم رحل إلى المغرب ، وقد عين عضواً في مجمع اللغة بالقاهرة ، وفي كتاباته تحامل على الإسلام حيث زعم تأثر الإسلام بالبيئة الوثنية العربية .

ومن أهم أعماله (لغة القرآن)(لغة الحديث النبوي)(بحث بعنوان ية مقحمة في القرآن) (لغة الشعر الجاهلي) [٢] .

برنارد لويس : (وفاته ١٩١٦م) :

مستشرق يهودي إنجليزي : تخرج من جامعة لندن . ولا يخفى تعصبه للصهيونية وله مجموعة آثار عن الفرق الإسلامية .

وله أيضاً بحوث حول طائفة الحشاشين وهو إلى الآن يدرِّس في جامعة برنستون في نيوجرسي بأمريكا .

---

(١) الموسوعة ص٥٦ .

(٢) الموسوعة ص٤٠٣ ، المستشرقون ص٦٣٠ .

ومن أهم مؤلفاته (طائفة الحشاشين)(العرب في التاريخ) [١] .

برمشفج Brumshvig (١٩٠١-١٩٩٠م)

مستشرق فرنسي متخصص في تاريخ الفقه الإسلامي. ولد في فرنسا من أسرة يهودية نفتها سلطات الاحتلال الألماني لفرنسا إلى معسكر اعتقال في ألمانيا وحصل على الليسانس في الأدب الفرنسي ، ثم عين مدرساً للغة الفرنسية في تونس وهناك تزوج من تونسية يهودية ثم انتقل إلى الجزائر حيث عين مدرساً في جامعة الجزائر، وأبحاث هذا المستشرق لا تخلو من إثارة النزعات القبلية في بلاد المغرب العربي . حيث يطلق على بلاد المغرب بلاد البربر .

وأهم مؤلفاته (بلاد البربر الشرقية في أثناء حكم الدولة الحفصية) بحث بعنوان (تأملات اجتماعية في الفقه الإسلامي القديم) وأيضاً بحث بعنوان (البرهان في الفقه الإسلامي) [٢] .

بلاشير Blachere (١٩٠٠-١٩٧٣م)

مستشرق يهودي فرنسي ، سافر مع أبويه إلى المغرب وقضى دراسته الثانوية في مدرسة فرنسية في الدار البيضاء وحصل من جامعة الجزائر على الليسانس عام ١٩٢٢م .

ثم عاد إلى الرباط وعمل في معهد الدراسات العليا بتوصية من المستشرق اليهودي (ليفي بروفسال) ، ثم حصل على الدكتوراه من

---

(١) أنظر الاستشراق ص١٩٧، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ص٨٦، المستشرقون ص٥٦١ .
(٢) المستشرقون ص٣١٨ ، الموسوعة ص٩٢ .

جامعة باريس عام ١٩٣٦وشغل كرسي اللغة والأدب العربيين في جامعة السربون ، وكان ممن يدعون على النبي محمد أنه قال بأن القيامة ستكون في حياته .

ومن أهم مؤلفاته (تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر) (ترجمة القرآن مع مقدمة لهذه الترجمة) (١) .

بلسنر Plessner (١٩٠٠-١٩٧٣م)

مستشرق يهودي ألماني وهاجر منها إلى فلسطين ثم قام بالتدريس في مدرسة ثانوية في حيفا ، وكان يدرس العربية لليهود ثم عمل أمين المكتبة التابعة لمدرسة الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية .

وليس له مؤلفات سوى بعض المقالات المتفرقة ومواد في دائرة المعارف الإسلامية (٢) .

بندلي جوزي : (١٨٧١-١٩٤٢م)

يهودي ماركسي روسي من رواد التفسير المادي للتاريخ الإسلامي وقد رحل إلى القدس وزار مصر . وقد ألَّف في القدس عام ١٩٢٨م كتاب : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) (٣) .

وهو في هذا الكتاب يريد أن يدلل على أن الإسلام ليس ديناً سماوياً

---

(١) من افتراءات المستشرقين على الإسلام د. عبد العظيم المطعني ص١٨٨ ، موسوعة المستشرقين ص١٢٧ ، المستشرقون ص٣١٦ .

(٢) موسوعة المستشرقين ص١٣١ ، المستشرقون ص٧٩٣ .

(٣) المستشرقون ص٩٣١ ، أضواء على الاستشراق ص٩٠ د. محمد عبد الفتاح- دار الكتب العلمية - مصر .

وإنما هو حركة اجتماعية ومحمد مصلح اجتماعي ليس إلا .

ومن مؤلفاته (فقرات من البهائية) (تاج العروس في معرفة لغة الروس) (الحركات الفكرية في الإسلام) .

جاكوب بارت Jacab Barth (١٨٥١-١٩١٤م)

مستشرق يهودي ألماني . درس اللغات السامية في جامعة برلين وقام منذ ١٨٧٤ حتى وفاته بتدريس اللغة العربية وتفسير الكتاب المقدس (العهد القديم) والفلسفة اليهودية . في المعهد الرباني. وكان يتقن العبرية والعربية، وكان عنصرياً إلى حد كبير وقد أنجب ولدين : هارون واليازر . وهما من أبشع غلاة الصهيونية .

ومن أهم مؤلفاته : نشره لكتاب "الفصيح " لثعلب ، " وديوان القطامي " وشرح موسى بن ميمون على أحد كتبّ المشناه وعنوانه مكُوت "، وشارك في تحقيق تاريخ الطبري (١) .

جرونباوم Grumebaum (١٩٠٩-١٩٧٢م)

مستشرق يهوديٌ ولد في النمسا وهاجر إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها حيث كان أستاذاً في جامعة شيكاغو. وهو من ألد أعداء الإسلام ، وفي جميع كتبه تهجم على الإسلام وقيمه ومبادئه .

ومن مؤلفاته : (إسلام العصور الوسطى)(الأعياد المحمدية)

---

(١) المستشرقون ص٧٢٣ ، موسوعة المستشرقين ص ٦١ .

(محاولات في شرح الإسلام المعاصر) ، (الإسلام) وقد هلك في عام ١٩٧٢ [(١)] .

جلازر Glaser (١٨٥٥-١٩٠٨م)

مستشرق يهودي نمساوي. كان من أسرة يهودية فقيرة لكنه تمكن من التعليم حتى دخل مدرسة الهندسة، وتعلم العربية ودرس علم الفلك. وبعد تخرجه رحل إلى جنوب الجزيرة العربية . وأهتم بالنقوش وجمع من اليمن مالا يقل عن ٢٧٦ نقشاً يرجع بعضه إلى مملكة سبأ .

من أهم مؤلفاته : (مخطط تاريخ وجغرافيا الجزيرة العربية) (الأحباش في الجزيرة العربية وأفريقيا) [(٢)] .

جو تشيلك Gattschalk (١٩٠٤-١٩٨١م)

مستشرق ألماني يهودي الديانة متخصص في تاريخ مصر في عهد الأمويين . تعلم في جامعة برلين وتخصص في الدراسات القديمة ، وحصل على الدكتوراه من (جامعة منشن) عام ١٩٢٩م وصار مساعداً علمياً في جامعة همبورج، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عين مشرفاً على المخطوطات الشرقية من إنجلترا (جامعة برمنجهام) ثم هلك في النمسا في عام ١٩٨١م .

---

(١) المستشرقون للعقيقي ص١٠١٩ ، أضواء على الاستشراق د. أحمد دياب – دار المنار – القاهرة ، أخطار الغزو الفكري ص٨٢ د. صابر طعيمة .

(٢) المستشرقون للعقيقي ص٦٣٣ ، الموسوعة ص١٨٦ .

من أهم مؤلفاته:(الملك الكامل وعصره)(حضارة العرب) (١) .

جولد تسيهر Goldziher (١٨٥١-١٩٢١م)

مستشرق مجرى يهودي عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه ، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية .

كتب عن القرآن والحديث والفقه والعقيدة والتاريخ وكان في بداية حياته العلمية متجهاً نحو دراسة العبرانية ، ثم أهتم بعد ذلك باللغة العربية والإسلام .

ويعد جولدتسيهر من أخطر من كتب عن القرآن والحديث من المستشرقين حيث يزعم أن القرآن تأثر كثيراً بالتوراة والإنجيل وأن السنة لم تكتب إلا بهدف سياسي بحت فهو ما كتب في الإسلاميات إلا ويحاول التدليل على أن محمداً كاذب وقرأنه مفتعل والإسلام كله مجموعة مفتريات .

من أهم مؤلفاته :(الظاهرية مذهبهم وتاريخهم)(العقيدة والشريعة في الإسلام) (محاضرات في الإسلام) (تاريخ تفسير القرآن عند المسلمين) (٢) .

جويتاين Goitein (١٩٠٠-١٩٧٠م)

مستشرق من أصل مجري يهودي عنى بالمجتمع اليهودي في مصر

---

(١) المستشرقون ص٦٤٠ ، الموسوعة ص١٩٣ .

(٢) أضواء على الاستشراق ص١٦١، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د. مصطفى السباعي ، الاستشراق والدراسات الإسلامية د. علي النملة .

والشام في العصور الوسطى ولد في بافاريا وهاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٣ وقام بالتدريس في مدرسة في حيفا ثم عين في معهد الدراسات الشرقية التابع للجامعة العبرية في القدس واستمر أستاذاً في الجامعة العبرية حتى عام ١٩٥٧ ، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة وعمل أستاذاً في جامعة بنسلفنيا حتى عام ١٩٧٠م .

من أشهر أعماله : كتاب (يمنيات) وهو عن المجتمع اليمني وكتاب (من بلاد سبأ) وكتاب (اليهود والعرب والاتصالات بينهم خلال العصور) [١] .

دار نبور Derembour (١٨١١-١٨٩٥م)

مستشرق يهودي فرنسي من أصل ألماني. ولد في عام ١٨١١م وعاش مدرساً خصوصياً، وحصل على الجنسية الفرنسية عام ١٨٤٣، وفي عام ١٨٥٧ أنشأ مدرسة ثانوية للتلاميذ اليهود، وفي عام ١٨٧٧م أنشئ له كرسي للغة العبرية وآدابها في المدرسة العملية للدراسات العليا بالسربون .

وأهم مؤلفاته :(خرافات لقمان الحكيم) (تاريخ فلسطين بحسب التلمود) (شرح موسى بن ميمون على سدر تهورت)(مجموعة مؤلفات الربائي سعديا الفيومي) [٢].

---

(١) المستشرقون ص٨٠١ ، الموسوعة ص٢١١ .

(٢) المستشرقون ص٢٠٥ ، الموسوعة ص٢٤٢ .

دلاّ فيدا Della vida (١٨٨٦-١٩٦٧م)

مستشرق إيطالي يهودي متعصب ليهوديته. دخل كلية الآداب في جامعة روما، وقبل أن يحصل على الإجازة الجامعية قام برحلة إلى الشرق عام ١٩٠٨ ، ثم عاد وحصل على الإجازة ثم سافر إلى القاهرة وهناك تعرف على المستشرق نلينو الذي كان أستاذاً في جامعة القاهرة .

ثم عين مدرساً للغة العربية في المعهد الشرقي في نابلي وفي عام ١٩١٧م فاز في مسابقة الترشيح لكرسي العبرية في جامعة تورينو. ثم تم فصله من الجامعة عام ١٩٣٢م ثم هاجر إلى أمريكا ليعمل أستاذاً في جامعة بنسلفانيا ثم عاد إلى روما عام ١٩٤٧ فشغل كرسي اللغة العبرية ثم كرسي التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية .

من أهم أعماله : كتب مادة عرب في دائرة المعارف الإسلامية. كتاب (نوادر وتسليمات عربية وغير عربية) (١) .

ديــو dussau (١٨٦٨-١٩٥٨م)

مستشرق فرنسي ولد في إحدى ضواحي باريس وفيها توفى ، وكان أبوه مهندساً اشترك بناء قناة السويس وسافر إلى سوريا لأول مرة عام ١٨٩٥م وجعل سوريا الموضع الرئيسي لدراساته حتى نهاية حياته .

ومن أهم مؤلفاته (العرب في سوريا قبل الإسلام)(تاريخ التعبيرية وديانتها)(تقديم الأضاحي عند بني إسرائيل)(نشيد الأناشيد) (٢) .

---

(١) الموسوعة ص٢٤٧ .

(٢) المستشرقون ص٣٣٩ ، الموسوعة ص٢٦٩ .

ديفيد بانت David Baneth (١٨٩٣-١٩٥٤ تقريباً)

أحد المستشرقين الألمان المتعصبين . عمل مساعداً في (أكاديمية علم اليهودية) ، فكان يدرس اللغة العربية والفلسفة الإسلامية حتى عام١٩٢٤ ثم صار في عام١٩٤٦ أستاذاً للغة العربية وآدابها في الجامعة العبرية في القدس . وتخصص في البحث عن الكتاب اليهود الذي كتبوا بالعربية .

ومن أهم مؤلفاته : نشر رسائل لموسى بن ميمون ، بحث عن ابن كمونة و (العلاقة بين أراء الغزالي ويهوداهاليفي) وهو في كل مؤلفاته متحامل على اللغة العربية [١] .

زيغريد هونكه :

مستشرقة ألمانية ذائعة الصيت خاصة في الأوساط العربية حصلت على الدكتوراه من جامعة برلين وكان عنوان البحث (أثر الأدب العربي في الآداب الأوربية) وهي في كثير من كتبها أكدت على فضل الحضارة العربية على الإنسانية ولكنها أيضاً لم توضح فضل الإسلام كدين – سماوي على الحضارة . مما يظهر أنها من المستشرقين الذين يدسون السم في العسل . وقد كرمتها الحكومة العراقية والحكومة المصرية .

من أهم مؤلفاتها : (شمس العرب تسطع على الغرب) [٢] .

---

(١) المستشرقون ص٨٠٩ ، موسوعة المستشرقين ص٧٤ .

(٢) أضواء على الاستشراق للدكتور/ محمد عبد الفتاح – دار البحوث العلمية – القاهرة .

سانتلانا Santillana (١٨٥٥-١٩٣١م)

مستشرق يهودي إيطالي ولد في تونس وكان أبوه يحمل الجنسية الإنجليزية وكان يعمل قنصلاً لبريطانيا في تونس ، وقد عين سانتلانا وهو في السادسة عشر من عمره سكرتيراً للجنة الدولية لشئون تونس المالية ، وفي عام ١٨٨٠م التحق بكلية الحقوق في جامعة روما، ومنها حصل على الليسانس وكان ضمن اللجنة المدافعة عن أحمد عرابي في مصر وحصل على الجنسية الإيطالية .

وقد اشترك سانتلانا في وضع الدستور التونسي ، وهو في كثير من دراساته يلمح إلى أن الشريعة الإسلامية مستمدة من القانون الروماني .

ومن أهم أعماله: كتاب (نظم الشريعة الإسلامية) (التصوف الإسلامي وعلاقته بالتصوف اليوناني) [١] .

فايــل gustav weil (١٨٠٨-١٨٨٩م)

مستشرق ألماني يهودي ولد في جنوب ألمانيا وتعلم العبرية والألمانية، وفي سن الثانية عشرة ترك مسقط رأسه وأقام عند جده الذي كان آنذاك إلى الحاخام الأكبر للمجمع الإسرائيلي . فأدخله جده مدرسة تلمودية ثم سافر باريس ليتم دراساته الشرقية ثم سافر إلى الجزائر ثم أقام بمصر أربع سنوات . ثم عاد إلى ألمانيا حيث عين أستاذ كرسى للغات الشرقية إلى أن هلك في ١٨٨٩/٨/٣٠م .

---

(١) مستشرقون لنذير حمدان ص٩٨ ، المعجم ص٣٤١ ، المستشرقون ص٣٧٤ .

ومن أهم مؤلفات : (النبي محمد:حياته ومذهبه)(مقدمة تاريخية نقدية للقرآن) (الأساطير الكتابية عندا لمسلمين) [١] .

فنسنك WENSINCK (١٨٨٢-١٩٣٩)

مستشرق هولندي ، وعدو لدود للإسلام ورسول الإسلام ، وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ثم أخرج منه على أثر أزمة حدثت بسبب مؤلف للدكتور حسين الهواري بعنوان المستشرقون والإسلام صدر في عام ١٩٢٦م وحدث هذا بعد أن نشر فينسنك رأيه في القرآن مدعياً أن الرسول قد ألف القرآن من خلاصة كتب اليهود .

من أهم مؤلفاته : (العقيدة الإسلامية : نشأتها وتطورها التاريخي)(محمد واليهود في المدينة)(فكر الغزالي) [٢] .

كراوس : Kraus (١٩٠٤-١٩٤٤م)

مستشرق نمساوي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ولد في براغ (وهي عاصمة تشيكو سلوفاكيا وكانت ضمن الأمبراطورية النمساوية) .

وفي عام ١٩٢٢ سافر إلى فلسطين والتحق بالجامعة العبرية في القدس ، ثم التحق بجامعة برلين وحصل على الدكتوراه . وأشترك مع ماسنيون في نشر أخبار الحلاج .

---

(١) الموسوعة ص٣٩٠ .

(٢) الاستشراق للدكتور/ علي النملة ص١٠٥ ، أضواء على الاستشراق ص١٧٢ ، موسوعة المستشرقين ص٤١٧ ، الاستشراق والمستشرقون ص٣٤ .

وفي عام ١٩٣٦ م عين مدرساً للغات السامية في جامعة القاهرة بترشيح من ماسنيون ، وقد مات منتحراً في القاهرة في ١٤/٩/١٩٤٤م بعد زواجه بأشهر قليلة ، وكان أحد أعضاء عصابة اشتيرن الصهيونية المتطرفة .

ومن أهم أعماله : (أفلوطين عند العرب)(جابر بن حيان إسهام في تاريخ الأفكار والعليمة في الإسلام) [١] .

كزانوفا :

مستشرق يهودي فرنسي عدو لدود للإسلام ونبيه ومن القائلين ببشرية القرآن ، وأن محمداً لم يعين خليفة له لاعتقاده أن القيامة ستقوم في حياته .

من أهم مؤلفاته : (محمد ونهاية العالم) [٢].

ليفي بروفنسال : Levi provencal (١٨٩٤-١٩٥٦)

مستشرق فرنسي يهودي اشتهر بأبحاثه في تاريخ المسلمين في أسبانيا . ولد في الجزائر ثم دخل جامعة الجزائر . ثم التحق بالجيش الفرنسي بالشرق وجرح في معركة الدردنيل وذهب إلى الإسكندرية للعلاج، ثم عين أستاذاً في معهد الدراسات العليا المراكشية في الرباط، ثم عين أستاذاً في كلية الآداب بالجزائر.

---

(١) الموسوعة ص٤٦٤ ، المستشرقون ص٧٦٣ .

(٢) المستشرقون ص٢٢٥ ، افتراءات المستشرقين على الإسلام ص١٨٨ .

ومن أهم أعماله : (تاريخ أسبانيا الإسلامية)(الإسلام في الغرب) [١] .

ماكس مايرهوف Max meydrfaf

ولد في ألمانيا من أسرة يهودية ودرس الطب في برلين ، ثم عمل في طب العيون وانتقل للإقامة في القاهرة عام ١٩٠٣م ودرس في القاهرة اللغة العربية وفتح عيادة لعلاج أمراض العيون ، وكان على صلة بالشيخ مصطفى عبد الرازق . وقد منحته جامعة بون الألمانية الدكتوراه الفخرية ثم حصل على الجنسية المصرية ودفن في المقابر اليهودية في مصر.

من أهم أعماله : (من الإسكندرية إلى بغداد)(موسى بن ميمون طبيباً) . (بعض الأطباء اليهود المصريين الذين اشتهروا في العصر العربي)(الإنتاج الطبي لموسى بن ميمون) [٢] .

ماكدونالد Macdonald (١٨٦٣-١٩٤٣م)

مستشرق أمريكي بريطاني الأصل والمولد رحل إلى برلين ، ثم قصد هارفارد لتعليم اللغات السامية عام (١٨٩٣) ثم أشرف على القسم الإسلامي سنوات طويلة وأنشأ بمعاونة (زويمر) مجلة العالم الإسلامي عام ١٩١١م .

---

(١) الموسوعة ص٥٢١ ، كتاب مستشرقون لنذير حمدان ص١٠٣ ، المستشرقون ص٢٧٥ .
(٢) المستشرقون ص٧٦٦ ، الموسوعة ص٥٤٠ .

ومن مؤلفاته : (علم الكلام في الإسلام) (عرض المسيحية للمسلمين) وقد حرر في الطبعة الأولى من دائرة المعارف ٤٦ مادة في العقيدة والشريعة وكان في غاية ما يكون من التحامل . حيث يزعم أن القرآن فيه تجسيم ، وأن صفات الله من اختراع النبيﷺ ، وقد استقى بعضها من اليهود ، وبعضها من النصارى وطعن في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم [1] .

مرجليوث Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠م)

إنجليزي متعصب ضد الإسلام ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية) وبدأ نشر دراسته عن الإسلام عام ١٩٠٥م . وذلك بكتاب (محمد ونشأة الإسلام) .

وقد عين أستاذاً في جامعة أكسفورد، وكان عضواً في المجمع اللغوي المصري ، والمجمع اللغوي في دمشق .

من أهم مؤلفاته : (محمد ونشأة الإسلام) (الجامعة الإسلامية) (العلاقات بين العرب واليهود) [2] .

مروبرجر Morroe Berger

عالم اجتماع أمريكي يهودي عاش في المنطقة العربية فترة غير

---

(١) انظر المستشرقون ٢/ ٣٣٠ ، الموسوعة لبدوي ص٣٧٢ ، العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف ص١٥٠ .

(٢) أنظر : أضواء على الاستشراق ص١٧٣ ، موسوعة المستشرقين ص٥٤٦ ، افتراءات المستشرقين على الإسلام ص٣٦ .

قصيرة ودرس أوضاع المسلمين . معروف بعدائه للإسلام الذي يزعم أن محمداً ﷺ قد أخذه من اليهودية ومن بقايا الجاهلية . ويزعم أن الشريعة الإسلامية مستمدة من القانون الروماني . وقد زار مصر عام ١٩٦٢م . وكان على صلة بالشيخ الباقوري رحمه الله .

وقد عمل في جامعة برنستون كما عمل مع مؤسسة براند التجسسية في الولايات المتحدة الأمريكية .

من أهم أعماله : (العالم العربي اليوم) وقد ترجم هذا الكتاب في بيروت[١] .

مونـــك Munk (١٨٠٣-١٨٦٧م)

مستشرق فرنسي يهودي متعصب ليهوديته، وتخصص في تاريخ الفلسفة اليهودية الإسلام .

وقد ولد في ألمانيا وكان أبوه خادماً في معبد يهودي . وفقد أباه في طفولته فقامت أمه برعايته وتعليمه مبادئ اللغة العبرية وكان يحضر دروس أحد الربانيين في التلمود. ثم رحل إلى القاهرة عام ١٨٤٠ ليعاون في فتح مدارس يهودية فيها . ثم عاد غلى باريس ليعمل أميناً للجمع للمركز لليهود في باريس ، ثم أصيب بالعمى عام ١٨٤٧م .

ومن أهم أعماله (بحث في الشعر العبري بعد التوراة)(مقال عن ديانة الدروز)[٢] .

---

(١) مستشرقون للعقيقي ص٥٣٣. أنظر الاستشراق والدراسات الإسلامية ص٨٦، المستشرقون والإسلام للأستاذ/ محمد قطب ص٢٦٥ مكتبة وهبة- القاهرة .

(٢) الموسوعة ص٥٧١ ، المستشرقون ص١٩١ .

نلينو Nallina (١٨٧٢-١٩٣٨م)

مستشرق يهودي إيطالي ولد في السادس عشر من شهر فبراير عام ١٨٧٢، وكان مولعاً منذ صغره بالجغرافيا واللغات الأجنبية خاصة العربية ثم درس العبرية وكتب بحثاً عن (قياس الجغرافيين العرب لخطوط الزوال) وهو في الثامنة عشرة من عمره . الأمر الذي جعل الدكتور عبد الرحمن بدوي يصفه بأنه أكبر حجة في تاريخ الفلك عند العرب .

وقد دعته جامعة القاهرة لإلقاء محاضرات في تاريخ الفلك عند العرب. وقد استعانت به إيطاليا في غزوها لطرابلس نظراً لمعرفته الدقيقة بأحوال العالم الإسلامي ، وقد أفادت الحكومة الإيطالية في هذا إفادة عظيمة – وهذا يشير إلى أن الاستشراق في مجملة كان طلائع الاستعمار وتوطئة له .

وفي عام ١٩٢١م عين مديراً لمعهد الشرق في إيطاليا ، وكتب أهم المواد الإسلامية في دائرة المعارف الإيطالية، وكان الرجل عضواً بجمع اللغة العربية في القاهرة .

من أهم أعماله : (تاريخ المسلمين في صقلية) [١] .

هاليفي Halevy (١٨٢٧-١٩١٧م)

مستشرق فرنسي يهودي أهتم بنقوش وتراث اليمن ، وقد ولد في تركيا وأتقن العبرية وصار مدرساً للغة العبرية في أدرنه في تركيا، ثم

(١) المستشرقون ص٣٧٧ ، الموسوعة ص٥٨٥ .

سافر إلى الحبشة من أجل دراسة جماعة يهود الفلاشا، وكتب تقريراً أدى إلى جمع التبرعات لهم من جانب الجاليات اليهودية في أنحاء العالم .

وكان هاليفي صهيونياً شديد التعصب للقومية الإسرائيلية ، وقد اقترح إنشاء جمعية باسم(مرباي لاشون) . لرفع شأن اللغة العبرية وهو ما حققته إسرائيل فيما بعد باسم أكاديمية اللغة العبرية ومقالاته في الصحف كلها تدل على عنصرية مقيتة ، وقد ذهب إلى اليمن واستطاع أن يبحث في حرية تامة عن آثار سبأية في اليمن .

من أهم أعماله :(أبحاث توراتية)(رحلة في نجران)(تقرير عن بعثة أثرية في اليمن) [١] .

هرتسفلد Hersfeld (١٨٧٩-١٩٤٨م)

مستشرق ألماني يهودي الأصل واعتنق ظاهراً المسيحية حين وصلت النازية إلى الحكم ، وانتقل إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٦م حيث عين أستاذاً في جامعة (برنستون) . وقد سافر إلى الهند وإيران والعراق ومصر. وقد قام بعده حفريات في سامراء بالعراق . وكتب كتاباً حول هذا .

ومن أهم أعماله : (إيران في الشرق القديم)(حفريات سامرا) (زرادشت وعالمة)(عمائر ونقوش في حلب) [٢] .

---

(١) المستشرقون ص٢١٩ ، الموسوعة ص٦٠١ .
(٢) الموسوعة ص٦٠٥ ، المستشرقون ص٧٧٠ .

هرشفلد Hirschfeld (١٨٥٤-١٩٣٤م)

مستشرق يهودي ألماني في غاية التعصب ضد الإسلام . ولد في ألمانيا وهاجر إلى إنجلترا وقام بالتدريس في الكلية اليهودية في لندن ، ثم مدرساً في كلية الجامعة بجامعة لندن لتدريس اللغة العبرية ، وكان في كثير من كتاباته يتهجم على الإسلام ونبي الإسلام . وهو من الذين يزعمون أن القرآن قد تأثر في كثير من عناصره باليهودية . وبالجملة فإن العمى العلمي لا يمكن أن يبلغ بباحث ما بلغ عند هذا الرجل .

من أهم أعماله : (العناصر اليهودية في القرآن)(إسهامات في إيضاح القرآن)(أبحاث جديدة في تأليف وتفسير القرآن) [١] .

هورفتس Horovitz (١٨٧٤-١٩٣١م)

مستشرق ألماني يهودي تعلم في جامعة برلين واشتغل في الهند وعمل مدرساً للغة العربية في كلية عليكرة الإسلامية . ثم عمل أميناً للنقوش الإسلامية في الحكومة الهندسية، ثم عمل مدرساً للغات السامية في جامعة فرانكفورت ، وكان عضواً في مجلس إدارة الجامعة العبرية في القدس ودراسته حول القرآن والسيرة النبوية فيها مغالاة وافتعال وتحيز واضح وفاضح .

ومن أهم أعماله : (مباحث قرآنية)(أسماء الإعلام اليهودية ومشتقاتها في القرآن)(الجنة في القرآن) [٢] .

(١) الموسوعة ص٦٠٩ ، المستشرقون ص٧٤٩ .
(٢) الموسوعة ص٦٢١ ، المستشرقون ص٧٤٣ .

هيلر برنار B.heller (١٨٥٧-١٩٤٣م)

مستشرق مجرى تخرج من جامعة بودابست وعنى بالعلوم الإسلامية واليهودية .

ومن أهم أعماله: (ترجمة لسيرة عنترة)(نشر أعمال جولد زيهر)(قصة التوراه في القرآن) (أبطال اليهود في القصص الإسلامي). وقد حرر في الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية ست مواد عن الأنبياء والسامرة، ونسب للقرآن ما ليس فيه ، وزعم استقاء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب (١) .

ولفسون Wolfson (١٨٨٧-١٩٧٤م)

مستشرق يهودي ولد في روسيا البيضاء وهاجر إلى أمريكا وعمل أستاذاً في جامعة هارفرد للأدب العبري والفلسفة اليهودية . وكان يلقى دروساً في المعهد اليهودي للديانة .

ومن أهم أعماله : (فلسفة اسبينوزا)(فيلون اليهودي :أسس الفلسفة الدينية في اليهودية) .

وهو في أبحاثه يختصر تاريخ الفلسفة في فيلون اليهودي واسبينوزا اليهودي (٢) .

ولهلم باخير Bachr..W. (١٨٥٠-١٩١٣م)

مستشرق مجري يهودي . تعلم في المعهد اليهودي في برسلاو

---

(١) العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف ص١٦٣ ، المستشرقون ٣/ ٤٣ .

(٢) الموسوعة ص٦٢٣ ، المستشرقون ص٧٦٢ .

وتخرج من جامعة (ليبزيج) وعين أستاذاً للغات السامية في جامعة (بوادبست) وفي (المعهد العلمي اليهودي) ثم أصبح مديراً للمعهد وأسهم في تحرير الفصول اليهودية .

من أهم أعماله : (موسى بن ميمون)(المستعمرات اليهودية في بلاد العرب)(١).

كوفمان Koufman (١٨٥٢-١٨٩٩م)

مستشرق مجري يهودي تخرج من جامعة برسلاو. وعين مدرساً في المعهد العلمي اليهودي في بودابست عام ١٨٧٧م . عنى بأصول الدين اليهودي وعلومه وتاريخه .

من أهم مؤلفاته : (سلمون بن جيرول) الحبر اليهودي (٢) .

يوسف شاخت : (١٩٠٢-١٩٦٩م)

ألماني يهودي متعصب ضد الإسلام والمسلمين له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامي وأصوله وقد درّس في عدة جامعات أوربية وعربية واشتهر بدراسة التشريع الإسلامي ، ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية .

وقد انتقل إلى نيويورك عام ١٩٥٩ حيث عين أستاذاً في جامعة (كولومبيا) واستمر في هذا المنصب إلى أن هلك في عام ١٩٦٩م .

---

(١) مستشرقون للعقيقي ص٩٠٥ .

(٢) المستشرقون للعقيقي ص٩٠٤ .

من أهم مؤلفاته : (الإسلام)(بداية الفقه الإسلامي)(مخطط تاريخ الفقه الإسلامي)(مصادر جديدة تتعلق بعلم الكلام) [١] .



(١) المستشرقون ص٨٠٣، الاستشراق ص١٢٩ للدكتور/ علي النملة ، أضواء على الاستشراق ص١٧ ، موسوعة المستشرقين ص٣٦٦ .

خصائص الاستشراق اليهودي واتجاهاته

الحقيقة أن الاستشراق في صورته النهائية ظاهرة صاحبت الصحوة الأوروبية منذ أن شعرت بالتهديد الإسلامي عن طريق الأندلس غرباً وعن طريق تركيا شرقاً فكان أن اهتم الغرب بالاستشراق لغايتين كبيرتين هما :

١ - الحد من انتشار الإسلام في الغرب وحماية الإنسان الغربي من الإسلام .

٢ - التعرف على بلاد المسلمين وثقافتهم ومعتقدهم وآدابهم وأساطيرهم تمهيداً للتأثير على هذه البلاد وأهلها [١] .

ولا شك أن التأثير هنا يشمل الاحتلال الغربي لهذه البلاد ، ثم محاولة تنصير أصحاب هذه البلاد قدر المستطاع .

فالاستشراق إذاً كان له بعد دفاعي وهو الحد من انتشار الإسلام وبُعد هجومي وهو الاستعمار والتنصير .

ولا شك أن الاستشراق عموماً كما خدم الاستعمار والتنصير قد خدم اليهودية وأعان على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة، وبخاصة أن هناك مستشرقين يهوداً أخفوا هويتهم اليهودية في الغالب وأقحموا أنفسهم ضمن مفهوم الاستشراق ، ولكنهم بانوا من خلال

---

(١) عبد العظيم الديب ، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ، سلسلة كتاب الأمة ص٢٧ الدوحة - قطر .

اهتمامهم باليهود في الجزيرة العربية وبالسامية والسبأية ، وغيرها من أنماط الثقافة اليهودية في المجتمع المسلم[١] .

ويقال تبعاً لهذا أن هناك علاقة بين الاستشراق والصهيونية لمجرد وجود علاقة بين الاستشراق واليهودية، كما أن هناك علاقة بين الاستشراق والماسونية[٢].

والظاهر كما يقول الدكتور البهي – أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية ، وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمته بإثبات فضل اليهودية على الإسلام [٣] .

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية [٤] .

ولا يمثل الاستشراق عقبة أمام اليهود لعدد من الأسباب حين كان الشرط الأساسي للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود لغتهم قريبة من العربية كان تعلم اللغة سهلاً .

ثم إن اليهود في الأصل شرقيون فساعد ذلك على فهم النصوص العربية وعلى إدراك المشاكل الشرقية أكثر من غيرهم .

وكذلك اليهود الذين يسكنون في الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعلمية والتي كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمي إليها

(١) الاستشراق والمستشرقين في الأدبيات العربية ص٣٣٦ ط.الرياض – مركز الملك فيصل

(٢) أحمد سما يلوفتش ، فلسفة الاستشراق ص١٥٢ ط. دار المعارف – مصر .

(٣) الفكر الإسلامي الحديث ص٥٤٣ .

(٤) د. زقزوق ص٤٩ .

أكثر من غيرهم لجمعهم في الأصل بين الذهن الشرقي والمسكن الغربي (١) .

ويذهب الدكتور السايح إلى أن الاستشراقين اليهود الذين قد تغلغلوا داخل المنظومة الاستشراقية لم يريدوا أن يعملوا بوصفهم يهوداً حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم ، ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين وبذلك كسبوا :

أولاً : فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

ثانياً : تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام وهي أهداف تلتقي مع أغلب المستشرقين من النصارى (٢) .

ويمكن أن نوجز خصائص الاستشراق اليهودي فيما يلي :

إن المتتبع للحَركة التاريخية للاستشراق يجد أن هذه الحركة نشأت نصرانية صرفة حيث إن رجال الدين النصراني حاولوا التعرف على الإسلام لا بهدف المعرفة التي تصل بصاحبها إلى القناعة والاهتداء إلى الصواب، وإنما كانوا يهدفون من وراء دراسة الإسلام إلى تشويه صورته وإبرازه في صورة منفرة ، وذلك حين اتجه كثيرٌ من الأوربيين نحو الإسلام نتيجة النهضة العلمية التي كانت تشهدها البلدان الإسلامية .

ويرى بعض المؤرخين للحركة الاستشراقية أن البواكير الأولى للاستشراق كانت مع القرن العاشر ، على أن أغلب المؤرخين يرون أن

(١) د. عمر فروخ ، الاستشراق في نطاق العلم والسياسية ص١٣٣ – ١٣٤ .

(٢) مواجهة الغزو الفكري ص٥٢ .

الحركة الاستشراقية كانت في القرن الثاني عشر وتزامنت مع الحروب الصليبية.

لكن مع ذلك لم نصادف من بين المستشرقين يهودياً واحداً، بل إن بداية دخول اليهود في ميدان الاستشراق كان في القرن الثامن عشر.

معنى ذلك أن المستشرقين اليهود متأخرون عن النصارى في هذا الميدان بأكثر من ستة قرون .

ولعل المتابع للتاريخ العام اليهودي يدرك أن اليهود لم يصنعون مواقف وإنما يستغلون المواقف .

فهم طوال تاريخهم إنما يركبون الموجة من أجل تحقيق مآربهم وهذا هو سر تحالفهم الدائم مع القوى (١) .

فهم في مجال الاستشراق متأخرون لكنهم في ظل الحملة على الإسلام والمسلمين قد فاقوا القدماء .

كثير من المستشرقين من غير اليهود قد اهتموا بالمجتمعات الإسلامية وآدابها والفنون الإسلامية والعمارة الإسلامية وعادات المسلمين وتقاليدهم ، إما إشباعاً لرغبة لديهم وإما للتعرف على هذه البلاد توطئة لاستعمارها ، لكن الملاحظ أن المستشرقين اليهود قد ركزوا في كثير من أبحاثهم حول الإسلام وعقيدته وشريعته والنبيﷺ وسيرته ، حتى من اهتم منهم بالدراسات الاجتماعية كان من أجل الهدف الصهيوني ، مثل المستشرق اليهودي (بيرجر) الذي ركز في

---

(١) أنظر كتاب (اليهود والتحالف مع الأقوياء) للدكتور/ نعمان السامرائي ، طبعة دار الحكمة - بيروت .

كتاباته الاجتماعية على المجتمعات المصرية والسورية والأردنية والفلسطينية ، ومن المعلوم أن هذه الشعوب هي كل دول الجوار للكيان الصهيوني .

معنى ذلك أن المنطلق الديني لدى المستشرق اليهودي هو العامل الأصيل في حركته الفكرية والبحثية، ابتداءً وانتهاءً بخلاف الاستشراق النصراني الذي بدأ بالعمل الديني ثم أخذ مناحٍ أخرى بعد ذلك .

كثير من الباحثين وفي محاولتهم تصنيف المستشرقين يرون أن المستشرقين منهم من ينصف الإسلام في أعماله وهم قليلون ومنهم من أعماه التعصب وهاجم الإسلام بضراوة وهؤلاء هم الأكثر عدداً والأوفر إنتاجاً .

والملاحظ أن المنصفين منهم ليس من بينهم – فيما أرى – يهود مما يدل على مدى حقدهم وكراهيتهم للإسلام والمسلمين .

ذلك أن بعض المستشرقين إنما يتحرون الدقة العلمية في كتاباتهم ولم يجدوا بداً من الإشادة بالإسلام ونبيه والاعتراف بفضل الحضارة الإسلامية على الإنسانية .

ولكن مع ذلك ما رأينا بين هؤلاء المنصفين يهودياً حتى ولو كان علمانياً في منهجة وتفكيره .

وهذا الأمر ليس بغريب خاصة وقد أخبرنا الحق سبحانه أن اليهود هم أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين ، لكن الغريب حقاً أن نجد من أبناء أمة الإسلام من يكيلون المدح والثناء على هؤلاء المستشرقين اليهود ، كما فعل الدكتور طه حسين والأستاذ نجيب العقيقي وغيرهما.

إن الاسم الوحيد الذي ذكر من اليهود في قائمة المستشرقين المنصفين والتي اشتهرت بمقالاتها عن الحضارة الإسلامية هي المستشرقة الألمانية اليهودية (زيجريد هونكة) ذلك أنها قد ألَّفت كتاباً بعنوان (شمس العرب تسطع على الغرب) وهذه المستشرقة قد لاقت من الترحيب في الدول الإسلامية ما يدعو إلى الدهشة .

أما سبب الدهشة فهو أن المؤلفة في كتابها لم تتحدث عن الإسلام كدين سماوي ، ولكنها تحدثت عن الحضارة الإسلامية مستقلة عن الدين . إذ أنها ترى أن الذي حمل مشعل الحضارة ليسوا هم المسلمين ولكنهم العرب على مختلف دياناتهم من نصارى ويهود وصابئة ومزدكيين . تقول هونكة في مقدمة كتابها :

(إن هذا الكتاب يتناول العرب والحضارة العربية ولا أقول الحضارة الإسلامية ذلك أن كثيراً من المسيحيين واليهود والمزدكيين والصابئة قد حملوا هم مشاعلها أيضاً، وليس هذا فحسب بل إن كثيراً من تحقيقاتها العظيمة الشأن كان مبعثها احتجاجاً على قواعد الإسلام القويمة ، بل أضف إلى ذلك أن كثيراً من صفات العالم الروحي كان موجوداً في صفات العرب قبل الإسلام) [١] .

بل إن (هونكة) ترى أن الذين حملوا مشعل هذه الحضارة من المسلمين كانوا من العقليين الذين لا يؤمنون بحياة أخروية وأنه ليس هناك جنة ولا نار، ولا حساب ولا جزاء ... الخ [٢] .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص١٢ .

(٢) شمس العرب تسطع على الإسلام ص٢٤٧ .

ولا أدري على أي أساس كرَّمتها الحكومة العراقية عام ١٩٦١م ، والحكومة المصرية عام ١٩٦٢م .

إن هذه المستشرقة لم تجعل للإسلام فضلاً على الحضارة حيث اليهود والنصارى والصابئة هم من تحملوا العبء الكبير في ذلك .

وأن الاحتجاج على قواعد الإسلام كان مصدر إلهام لكثير من الأعمال العظيمة في هذه الحضارة .

وإن كثيراً من القيم الروحية - حتى القيم الروحية في الحضارة - كانت موجودة لدى العرب قبل الإسلام ، وهذا نفس ما يقوله جولدزيهر ومرجليوث ونولدكة .

بل والأدهى من ذلك زعمها أن كثيراً من عباقرة الحضارة العربية من المسلمين كانوا من الملحدين الذين يقولون بأنه لا جنة ولا نار.

ولا ندري بعد ذلك أي فضل للإسلام على الحضارة .

وأرى أن هذه الأعمال هي بالفعل أخطر ممن يهاجمون الإسلام علانية ودون مواربة .

أيضاً فإن عدداً لا يستهان به من المستشرقين بعد البحث والتقصي والقراءة الهادئة عن الإسلام قد اهتدوا فأعلنوا إسلامهم وصاروا جنداً للإسلام يدفعون عنه كيد الكائدين .

منهم على سبيل المثال إسحاق دينيه الذي تسمى باسم ناصر الدين وحج وحسن إسلامه ودافع عن الإسلام ورد على لامانس القس اليسوعي

في كتاب له اسمه (إنك في واد ونحن في واد) (١) .

وكذلك عبدالكريم جرمانوس ، وغيرهما كثير .

لكن الملاحظ أنه ليس من بين المهتدين إلى الإسلام يهودياً واحداً - فيما أعلم - وهذا ليس مرجعه عدم المعرفة، فإن المستشرقين من أدرى الناس بالإسلام وقيمه ومبادئه ، بيد أن اليهود طوال تاريخهم مع الإسلام ونبيه لا تزيدهم المعرفة إلا عناداً وحسداً ، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** .. ﴾ (البقرة:٨٩) . وقال تعالى: ﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾ (آل عمران:٧٠)

وهذا أيضاً - عدم إيمانهم - ما يفرقهم عن المستشرقين النصارى .

إن الكتابات الاستشراقية اليهودية لها وزنها وأهميتها في المعايير الاستعمارية ، حيث كانت الدول تقدمهم للتنقيب والدراسة الجزئية أو الشاملة للشعوب الشرقية ، وفي طليعتها الشعوب الإسلامية ، كل ذلك من أجل التمهيد لقضيتهم الأساسية وهي أرض المعاد .

بل إن بعض اليهود قد جنَّدوا بعض النصارى لتحقيق هذا الهدف الذي كانوا يعملون من أجله .

لنأخذ لذلك مثلاً واحداً وهو فيلبي (١٨٨٥ -١٩٦٠) الإنجليزي السياسي الاستعماري الخطير الذي وسع نشاطاته السياسية الإنجليزية في العديد من الأقطار العربية الإسلامية ، فقد عيِّن رئيساً للبعثة البريطانية في الأردن (٢١-١٩٢٤) وكان له دور كبير في تأسيس

---

(١) أضواء على الاستشراق ص٨٠ .

شركة الشرقية المحدودة في الحجاز وإنجلترا، وقد رفض الملك عبد العزيز دخوله السعودية بعد أن علم من الممثل الشخصي للرئيس الأمريكي روزفلت أن فيلبي كان يحاول رشوته بعشرين مليون باوند ليبيع فلسطين لليهود ، ومن هنا فقد انكشفت نواياه في دعم إسرائيل ، وقد اعترف بحادثة الرشوة هذه حاييم وايزمان رئيس دولة إسرائيل في كتابه (التجربة والخطأ) [١] .

وهو نفس الدور الذي كان يقوم به هرتزل حين عرض على السلطان عبدالحميد ٥ مليون ليرة ذهبية مقابل التنازل عن أرض فلسطين أو السماح لليهود بالهجرة إليها .

هناك من المستشرقين اليهود من كان ضمن العصابات الصهيونية المتطرفة والتي كانت تقوم بعمليات اغتيالات وتصفية القيادات الإسلامية في الأرض المقدسة، من هؤلاء المستشرقين بول كراوس[٢].

فبول كراوس (١٩٠٤-١٩٤٤) تشيكي سياسي صهيوني بدأ نشاطه الاستشراقي بترجمة حياة جابر بن حيان ثم تتابعت أعماله عنه وعن (ابن الراوندي) و(محمد بن زكريا الرازي)، وأخبار (الحلاج) بمساعدة ماسينيون .

ويبدو نشاطه الاستشراقي في :

١ - محاضرات في نقد التاريخ - أشهرها الجديد في التوراة ، وبحثاً بعنوان أفلوطين عند العرب .

---

(١) كتاب مستشرقون ص٤٦ .

(٢) كتاب مستشرقون لنذير حمدان ص٤٦ .

٢ - مقالات في مجلة الثقافة عن ابن المقفع، وتاريخ الفلسفة والعلوم لدى العرب.

٣ - تدريسه اللغات السامية في الجامعة المصرية عام ١٩٣٦م ، ولم ينقطع عنه حتى انتحاره .

٤ - نشاطه السياسي الإرهابي على الرغم من أن الدكتور نجيب عقيقي في كتابه المستشرقون لم يذكر شيئاً عن يهودية كراوس ولا عن عضويته في العصابة الإرهابية (شتيرن) ولا عن تجواله وتردداه بين القاهرة والقدس، فإن اليهوديه عريقة في أسرته وفي حياته كذلك فإن عضويته في المنظمة الإرهابية (شتيرن) وتردده بين القاهرة والقدس معروفان من مصادر عدة .

وقد سافر كراوس إلى فلسطين فأمضى فترة في مستوطنة إسرائيلية (كبوتز) وبعد حصوله على الدكتوراه من جامعة برلين سافر إلى فرنسا حيث عمل مع المستشرق ماسينيون في نشر أخبار الحلاج .

ويتساءل نذير حمدان عن مدى صلة الدكتور طه حسين بيهودية كراوس ، وهل قبله عضواً في كلية الآداب بسبب تقديره لأستاذه ماسينيون وترشيحه له فقط، وفي كلتا الحالتين ما مدى كفاءات كراوس العلمية في المجال البحثي .

إن معظم الأعمال التي قام بها كراوس مشوهة فقد عمل مقالات في تاريخ الإلحاد في الإسلام، وابن المقفع، وأخبار الحلاج، وشروحاً للكتاب المقدس كما مر .

ويفترض الدكتور بدوي أن جماعة شتيرن التي كان - كراوس - عضواً فيها قد كلفته بقتل اللورد الإنجليزي (موين) بدعوى أنه الممالئ للعرب على حساب اليهود .

ويرى الدكتور نذير حمدان أن حياة المستشرق كراوس الإرهابية قد امتزجت بالاتجاه الاستشراقي ، وكان ثمرتها تدريس في الجامعة المصرية بعد خروج سلفه إسرائيل ولفنتسون سنة ١٩٣٧م .

وقد برر كراوس تفضيله التدريس في الجامعة المصرية عن الجامعة العبرية بسبب الإمكانات الهائلة المتوفرة للبحث من حيث وجود المخطوطات في دار الكتب المصرية .

وهو تبرير غير مقبول بالنسبة إلى كراوس الذي يستطيع ارتياد هذه المكتبات في أي وقت ، ولكنه في الحقيقة تفضيل مقصود لغايات استشراقية وصهيونية لا تتحقق له إحداها على الوجه المطلوب إذا كان بعيداً عن مصر (١) .

وتتمثل اتجاهات الاستشراق اليهودي في عدة شبهات :

أولاً : القول بأن العقيدة الإسلامية متأثرة بما قبلها من اليهودية والنصرانية وحتى الوثنية العربية .

ثانياً : الإدعاء بأن النبي كانت تنتابه النوبات العصبية والدليل ما كان يصيبه من الجهد خلال نزول الوحي، مع أنهﷺ لم يعرف في تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل

---

(١) كتاب مستشرقون لنذير حمدان ص١١٢ - ١١٣ .

البعثة وبعدها .

ثالثاً : الزعم بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود فاستفاد منهم كثيراً من القصص ، واقتبس بعض أساليب التعبير التي لم تكن معروفة للعرب ، مثل (ذاق الموت)، (ونفخ في الصور)، (في آذانهم وقر). وهو إدعاء مسبوق ردده مشركو مكة حين قالوا (إنما يعلمه بشر) ، وقد بكتهم القرآن فقال : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ .

رابعاً : القول بان محمداًﷺ ما كان رسولاً ولا نبياً فزعم للعرب في تحسس الأخبار والإسراع بنقلها بطرق لم يوفق أحدٌ من المتحضرين حتى اليوم إلى كشف سرها [١] .

خامساً : أن محمداً صادق الفراسة نفاذ للرجال إذا لقي أحدهم انكشف له سره وافتضحت أمامه خفايا صدره ، ويعرف كيف يستهله ويجذبه إليه .

سادساً : ما كان من بلاغ النبيﷺ ورسالته لم تكن وحياً وإنما هي أنباء وروايات يجند لها جواسيسه ورجاله ، أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته .

سابعاً : تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها طمعاً في ثروتها، وهي أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن زهده ﷺ وأنه حتى لم يورث أحداً من بعده بل تركه للمسلمين صدقة .

---

(١) مواجهة الغزو الفكري ص٥٢ للدكتور/ أحمد السايح .

ثامناً : الزعم بأنه أنشأ جمعية سرية واختار أبا بكر الصديق رئيساً لها ، فجعل يروج لها ويتفانى في نشرها فكانوا يجتمعون في بيت الأرقم ، وأنهم كانوا يجتمعون سراً للصلاة [١] .

وقد تزعم هذه الفرية مرجليوت المستشرق الذي شبه المسلمين بجماعة الماسون .

تاسعاً : الزعم بأن، النبيﷺ نظر في تعاليم النصارى واليهود فأخرج منها ما لا يقبله وأنه وحد بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحداً .

ولا ريب أن هذا القول باطل من أساسه لأن التوحيد هو دعوة الرسل جميعاً ، ثم لأن الرسول دعا إلى التوحيد من أول أمره ولم يكن ثمة التقاء بينه وبين النصارى أو اليهود .

ثم إن التّوحيد الذي دعا إليه النبي لم يكن له مثيل لا في توراة اليهود ولا إنجيل النصارى [٢] .



---

(١) مواجهة الغزو الفكري ص٥٣ .

(٢) الإسلام في وجه التغريب لأنور الجندي ص٣٣١ – ٣١٢ ، ص٥٣ – ٥٤ من د. السايح وأنظر لهذه الشبه مرجليوت في كتابه : (محمد وظهور الإسلام) وجولد زيهر في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) .

المستشرقون اليهود والطعن في عقيدة التوحيد

قضية التوحيد :

يقول ماكدونالد متنقصاً عقيدة التوحيد في الإسلام وطاعناً فيها : (إن فكرة التوحيد أبعد ما تكون عن البساطة، فهو إما ظاهر أو باطن، ومن معانيه أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ومن معانيه أنه واحد في ذاته ، ومن معانيه أن الله هو الموجود الحقيقي وكل ما عداه وجوده ظل وجود الحق، وقد يتوسع في ذلك إلى القول بأن الله هو الكل) (١).

ولا شك أن هذه المغالطات التي أوردها (ماكدونالد) أبعد ما تكون عن الحقيقة ، ذلك أن فكرة التوحيد في الإسلام هي أبسط ما تكون ، والتعقيد الحقيقي يكون حين يكون التوحيد (وحدة في تثليث وتثليثًا في وحدة) كما يزعم النصارى، أو يكون حين توجد فكرة التجسيم التي يقول بها اليهود .

ثم إن المستشرق ماكدونالد قد ناقض نفسه حيث ورد على لسانه (تبدو عقيدة محمد بسيطة واضحة في الركن الأول من أركان الإسلام وهو شهادة أن لا إله إلا الله ومعنى هذا عند محمد وأهل مكة هو : أن الله وحده هو الإله الحق دن سائر الآلهة، التي كان يعبدها أهل مكة)(٢)

ثم من قال إن طائفة الحلولية تدخل ضمن الدائرة الإسلامية حتى

---

(١) دائرة المعارف ١٠/ ١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٤٦ ، وأنظر العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف ص١٧٩ .

يصح القول بأن التوحيد يتسع حتى يشمل القول بالحلول !.

قضية الصفات :

يزعم بعض المستشرقين من اليهود أن قضية الصفات لدى المسلمين غير واضحة بل هي في غاية الغموض حيث يقول ماكدونالد .

وصفات الله على أحسن الفروض غير مطابقة ومضللة وعلى أسوأ الفروض مستحيلة) [١] ثم يعطي أمثلة على ما يزعمه غموضاً بقوله :
ومن أسمائه السلام وهذه الصفة لم ترد إلا في (الآية :٢٣) من سورة الحشر، ومعناها شديد الغموض ، ونكاد نقطع بأنها لا تعني السلم ، ويرى المفسرون أن معناها (السلامة) أي البراءة من النقائص والعيوب وهو تفسير محتمل [٢] .

ويقول أيضاً (أما صفاته المعنوية فقد وردت في آيات قليلة يشوبها الغموض فإنه يصعب علينا معرفة ما يقصده (محمد ﷺ) من صفات القدوس والسلام والنور) [٣].

ولا شك أن الغموض إنما هو في فكر هذا المستشرق ، ذلك أن قضية الصفات التي ذكرها هذا المستشرق والتي وردت في القرآن ليس فيها ما يدعو إلى التحير ذلك أن الصفات فرع عن الذات ، فكيفية الصفات الالهية لا يعلمها إلا الله ، غير أن معناها واضح ذكره المفسرون

---

(١) دائرة المعارف ١٤/ ٢٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٤٨ .
(٣) الدائرة ٤/ ٢٤٩ .

للقرآن الكريم .

والعجب أن المستشرق نفسه قد قال : (وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة مثل: الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه القيوم) [١] .

محمد هو الذي ابتكر صفات الله :

يزعم المستشرق ماكدونالد أن صفات الله إما من ابتكار محمد أو من تأثره بالمصادر التي كان يطلع عليها، كل ذلك وصولاً إلى القول بإنكار نبوته .

فهو يقول : (وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة مثل الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه القيوم) .

ويقول أيضاً : (ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن [الأعراف ١٧٩، بني إسرائيل١١٠، طه٧، الحشر٢٤] . وتبين شغف محمد بهذه الصفات وشده تمسكه بها ، وكانت الفطرة السليمة هي التي دفعت المسلمين بعد محمد (ﷺ) إلى جمع الصفات وتقديسها .

ويقول عن الصفات التي أخذها من اليهود والنصارى وغيرهم .

(١) نفس المصدر .

ومن صفاته كذلك : البر [الطور ٢٨] ونور السموات والأرض [النور ٣٥] ويظهر من سياق الكلام أنه يشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم ، فالصورة الوصفية التي وردت في سورة النور مأخوذة من صورة المذابح المضاءة، وتذكرنا هذه الآيات أيضاً بعبارة (نور العوالم) التي وردت في الإنجيل (ونور الأنوار) التي وردت في العقيدة النيقية .

ويزعم ايضاً أن صفة الرحمن مأخوذة من جنوب بلاد العرب وصفة (الباري) قد أخذها محمد من العبرية واستعملت دون أن يقصد منها معنى خاص [١] .

والحقيقة أن الذي أوقع هذا المستشرق في مثل هذه المغالطات هو اعتماده أسلوب المشابهة على أنه دليل التأثير. وهي طريقة باطلة من أساسها فصفات الكمال لله لا تختلف من دين لآخر .

التوسل بالأنبياء :

يقول ماكدونالد (وبفضل الإجماع أصبح ما كان في أول أمره بدعة أمراً مقبولاً، فالتوسل بالأولياء مثلاً صار عملياً جزءاً من السنة) [٢] . ولا شك أن هذه مغالطة ينفيها ما ورد في المصادر الإسلامية المعتمدة من أن التوسل بالأولياء مخالف للعقيدة الصحيحة ، ولم يرد في تلك المصادر النهي عن التوسل بالأولياء ثم إباحته بعد ذلك ، وأظن أن

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٢٤٩ ، ٢٥١ .
(٢) الدائرة ٢/ ٢٤١ .

المستشرق قد اختلط عليه الأمر وظن أن المقصود بالقبور في قولهﷺ ((**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**)). ظن هذا المستشرق أن في ذلك إذن من الرسول بجواز التوسل وهو خطأ ولا شك .

وأما ما يفعله بعض المسلمين من أفعال تنافي كمال الإيمان فليس حجة على الدين . والعبرة إنما هي بأفعال السلف ومن تبعهم بإحسان .



المستشرقون اليهود والوحي الالهي

إن القول ببشرية القرآن فرية افتراها أعداء الإسلام قديماً، من أول بدايات الدعوة حين زعم المشركون أن محمداً تلقى تعليمه من أحد الرومان وكان يصنع السيوف وربما كان يمر به النبي ﷺ وقد أنزل الله ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ ، كما أن اليهود من فرط عداوتهم لمحمد قد أنكروا وحي الله عليه حيث ﴿ **قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ .

ثم جاء المستشرقون فدندنوا حول هذه الفرية وأطالوا الحديث عنها حتى يشككوا في الإسلام القائم على منهج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد فتح القول ببشرية القرآن من قبل المستشرقين الباب على مصراعيه لبعض الكتاب المسلمين ، من أمثال طه حسين ونصر أبو زيد ، ليقولوا بأن القرآن ابن بيئته ونتاجها .

ويلاحظ أن المنهج الاستشراقي العام في دراسة القرآن الكريم يتسم بسمتين **أولاهما** : أنه منهج لا علمي . **ثانياً** : عدم اتصافه بالحياد والموضوعية ، وبالتالي فإنه بات من الواضح أن أي مستشرق يتناول القرآن الكريم بالدراسة يضع نصب عينيه بشرية القرآن، وبالتالي وبناءاً على هذا الاعتقاد تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته وقد استوت على أساس غير صحيح لأن ما بني على باطل فهو باطل .

فالمستشرق اليهودي نولدكه مثلاً في كتابه (تاريخ القرآن) الذي يعد دستور المستشرقين في دراساتهم حول القرآن ونولدكه نفسه يلقب بشيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية، على الرغم من أن نولدكه قد عرف بنزاهته في أبحاثه إلا أنه وفي سياق التجرد من الهوى ومهما حاول التزام الموضوعية فمع الإيمان ببشرية القرآن لا يمكن إلا أن يقع في مثل هذه الأخطاء ، فهو يقول عنﷺ إن محمد صائغ غير موهوب لسور قرآنية مشوشة الأسلوب [١] .

والمستشرق جولد زيهر في كتابه تاريخ التفسير الإسلامي، يتصيد النصوص الملائمة والموافقة لهواه لا يهمه اعتماد الموثوق من المصادر بقدر ما يستهويه الاستشهاد بنصوص تدعم نظرياته وآرائه ، وهي من دون شك لا يعثر عليها إلا في بطون المستشرقين السابقين له أو كتب الأدب والتاريخ مثل الأغاني ومروج الذهب والفهرست .

وهو وغيره من المستشرقين إذ يفعل ذلك يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر وتنطق به المصادر الأصلية .

وقد طرد فنسنك من المجمع اللغوي في القاهرة، بسبب ما أعلنه من أصل الإسلام ومصدره الجاهلي وقد لوحظ هذا في كتابه : (العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها) وظهر هذا بشكل جلي عن الحج [٢] .

---

(١) الدراسات القرآنية في مناهج البحث الاستشراقي للدكتور/ حسن عزوزي ، مجلة الوعي الإسلامي عدد ٤١١ (ذو القعدة ١٤٢٠هـ) ص٢٢ .

(٢) مستشرقون لنذير حمدان ص٢١٧ .

وبلاشير اليهودي المنظم القرآن حسب ما يراه والواهم أن الغرانيق منه وأن احتمالاً قوياً يدفع إلى ضياع بعض الآي كتابة وحفظاً حتى أدى به تقصيه إلى تأليف كتاب (معضلة محمد) .

وفشر اليهودي الذي أخرج هو أيضاً من عضوية المجمع ١٩٤٥م حيث عمل كتاباً بعنوان : (آية مقحمة في القرآن) .

وقد تعددت آراء المستشرقين حول مصدرية القرآن الكريم ، فمن قائل بأن مصدره التوراة ، ومن قائل بأن المصدر الإنجيل ، ومن قال بأن الشعر الجاهلي هو مصدر القرآن ، ومن قال بأن موهبة محمد وملكة العربية جعلته يبتكر هذا القرآن ويخترعه اختراعاً ، ومنهم من قال إن أسلوب القرآن من الركاكة بحيث لا نصدق أنه وحياً من الله .

وهذا الكلام ليس بالجديد على أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم ، وسوف نذكر تفصيلاً آراء هؤلاء المستشرقين ثم نفندها .

أهم مؤلفات المستشرقين اليهود حول القرآن

ترجمة القرآن	بلاشير
العلاقات بين العرب واليهود	مرجليوت
محمد ونشأة الإسلام	مرجليوت
العرب في التاريخ	برنارد لويس
اليهود والغرب	جويتاين
العقيدة والشريعة في الإسلام	جولدزيهر

محاضرات في الإسلام	جولدزيهر
تاريخ تفسير القرآن	جولدزيهر
حياة محمد وتعاليمه	اشبرنجر
الإسلام واليهودية	استينشتيدر
محمد واليهود في المدينة	فينسك
ماذا أخذ محمد من اليهود	ابراهام جيجر
الإعلام اليهودية في القرآن	هورفتس
العناصر اليهودية في القرآن	هرشفيلد
أبحاث جديدة في تأليف وتفسير القرآن	هرشفيلد
آيات مقحمة في القرآن	أوجست فيشر
مقدمة تاريخية نقدية للقرآن	فايل
الأساطير الكتابية عند المسلمين	فايل

جولدزيهر ومصدر القرآن :

لقد كان جولدزيهر أحد المستشرقين الأعلام الذين تقدموا بمثل هذه الافتراءات ، وهي مصدرية القرآن والذي أرجعها إلى مصدرين : خارجي وداخلي ، حيث يقول : (فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة ، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله .

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وإدراكها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية ، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً) (١) .

والروح اليهودية الصهيونية لا تترك كل لفظ نطق به جولدزيهر ذلك أن آباءه الأقدمين قد نطقوا بمثل ما قال حين زعموا أن الرسولﷺ تابع لهم بدليل أنه توجه أولاً إلى بيت المقدس، والذين حاولوا إنكار رسالته بدعوى أن البشر لا ينزل عليهم وحي من السماء ، حيث قالوا : ﴿ **مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ فرد الله عليهم بقوله ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى** ﴾ .

ومرة أخرى يزعم جولدزيهر أن القرآن الكريم من صنع محمد ﷺ حيث يقول : (بديهي أن التغير الذي حدث في الطابع الشخصي لمحمد قد أثر في أسلوب القرآن وشكله الأدبي .. ففي العصر المكي جاءت المواعظ الملتهبة في شكل وهمي حاد، ولكن حمية النبوة وحدتها أخذت في عظات المدينة والوحي الذي جاء بها تهدأ رويداً رويداً حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة وشاحبة ، كما أخذ الوحي نفسه ينزل إلى مستوى أقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل حتى صار أحياناً في مستوى النثر العادي (٢) .

ولا شك أن جولدزيهر – كغيره من اليهود – يريد من وراء ذلك إثبات بشرية القرآن حتى وإن غلّف كلامه بألفاظ مثل الوحي والبلاغة،

(١) كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام ص١٢ ترجمة محمد يوسف موسى .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص٢١ .

وأين جولدزيهر الذي لا يعرف عن العربية شيئاً من البلاغة والفصاحة حتى يحكم على القرآن المدني بعدم البلاغة .

ولنفرض جدلاً أن القرآن كان من صنع محمد ألا يكون طبيعياً أن يكون القرآن المدني هو الأرفع بلاغة والأقوى فصاحة ، وخاصة وأن كثرة الحوادث تكون قد أصقلت الصنعة البلاغية في أسلوب محمدﷺ.

ثم أكثر الاعتراضات ممن اعترضوا على بلاغة القرآن كانت حول القرآن المكي كما هو مشهور في كتب التوحيد، والتي رد عليها علماء العقيدة ، فكيف يزعم هذا الأعجمي أن القرآن المدني أقل بلاغة وأدنى فصاحة من القرآن المكي .

وجولدزيهر يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حين يقول:(إن محمداً ﷺ انتخب تعاليم الإسلام من الديانات السائدة في عصره اليهودية والنصرانية والوثنية ، بعد تهذيب وصقل) [١] .

بلاشير والقرآن :

تحدث المستشرق اليهودي بلاشير عن القرآن في كتابين له هما : (ترجمة القرآن) و (معضلة محمد) .

وفي ترجمته للقرآن أدخل قصة الغرانيق ، ويلاحظ على ترجمته وتعليقاته على الترجمة الروح الاستشراقية الصهيونية التي تخون العلم في محاولة منها لتزييف الحقائق الثابتة من أجل هدم المبادئ التي يريد هدمها .

---

(١) العقيدة والشريعة ص٢٤ ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون .

يقول بلاشير في مقدمة الترجمة إنه (شك في حرص الرسول على كتابة الآي حال نزولها، وأن خوفه كان شديداً لما نزل عليه لأول مرة، فلا يمكن أن يكتب ما نزل عليه ، ولأن المسلمين كانوا في صراع مع يهود المدينة الذين كانوا يسيطرون على وسائل الكتابة ، واستخلص أن النص القرآني لم يكتب بأكمله في عهد الرسول والحفظ مثل الكتابة لم يستطع أن يحافظ عليه .

ولا ينفي بلاشير احتمال اختلاط النص الأصلي ببعض الزيادات الطفيفة التي أدخلت عليه في العهود المتأخرة .

وتساءل عن الأسباب التي جعلت الرسول لا يحرص على كتابة القرآن في عهده مفترضاً عدة احتمالات .

أولها: خوف الرسول من جبريل **وثانيها:** احتكار اليهود للكتابة **وأخيراً** : ميل الرسول وأصحابه إلى ترك الأمور على ما هي عليه ، يؤيده ما اشتهر بين العرب من أنهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل ، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده إذ لم تكن الحاجة ماسة إليه ، كما يؤيد ذلك عدم تعيين خليفة له) (١) .

الرد على بلاشير :

يريد بلاشير أن يرجع أسباب عدم كتابة القرآن في عهد النبي إلى ثلاثة أسباب :

---

(١) مناهج المستشرقين جـ١ / ٤٠ – ٤٢ .

الأول : خوف الرسول من الوحي وهو سبب غير موضوعي ، لأن الخوف من جبريل أول مرة كان لأنه أول لقاء وكان مفاجئاً وبعد ذلك اعتاد رسول الله على لقاء جبريل بل إنه كان يشتاق للقائه ، معنى ذلك لا يمكن قياس أول لقاء بما يليه من لقاءات .

الثاني: احتكار اليهود الكتابة ، وهو سبب غير واقعي وغير منطقي لأن اليهود كانوا بالمدينة وأغلب سور القرآن نزلت بمكة ، ثم إن أغلب كتَّاب الوحي كانوا من المهاجرين ، وكان عددهم يقرب من الأربعين صحابياً .

الثالث : نفسية العرب، وهو احتمال مرفوض واقعاً واهتماماً ، فالواقع أثبت وجود الكتبة الذين كان يقول لهم الرسول ضعوا هذه السورة في المكان كذا .. وهكذا .

ثمّ إذا كان العرب طبيعتهم تميل إلى الركون للحاضر وعدم استشراف المستقبل فما الذي جعلهم – على حد قوله – يكتبون القرآن بعد ذلك .

وأظن أن هذه غمزة عنصرية يراد منها إثبات أن الإنسان المسلم يميل إلى الخمول والكسل في مقابلة الغربيين الذين ينزعون إلى النشاط وهي دعوة أطلقها (رينان) بتقسيم البشر إلى جنس سامي وجنس آري كما هو معروف .

فنسنك وعدد ٧ من القرآن :

يزعم فنسنك اليهودي أن عدد ٧ يرجع بعضه إلى ما أخذه المسلمون من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل .

فالطواف والسعي وعدد آيات الفاتحة ونزول القرآن على سبعة أحرف ، وغسل الأواني القذرة سبع غسلات والسجود على سبعة أعضاء، هذا في العبادات ، أما خلق الكون فالسموات سبع والأرضون سبعة ، ولجهنم سبعة أبواب، وقد أخذ المسلمون من المسيحيين الخطايا الموبقات سبعاً (١) .

ونقول إن ذلك ليس من باب التأثير ولكنه من باب التوافق فيما يتعلق بالغسل وخلق الكون . أم يريد هذا اليهودي أن يقول الله في التوراة أنها سبع سموات وفي القرآن يقول أنها ثمانية ، هذه الأمور لا تحتاج إلى كثير بيان، وكون الطواف سبعة والسعي أيضاً فنحن نعرف أن هذا الأمر كان موجوداً في ملة إبراهيم وظل مع العرب حتى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

كما يزعم هذا اليهودي أن قصة إبليس في القرآن تستند إلى الروايات النصرانية (٢) .

كما أن النبي عند هذا المستشرق قد استقى فكرة حور الجنة من الصور المسيحية للملائكة ولم يفهمها النبي فنقلها على أنها حور (٣) .

وكذلك يزعم فنسينك أن نهر الكوثر منقول من الكتاب المقدس (٤) .

---

(١) دائرة المعارف ١١/ ٢٤٣ .

(٢) الدائرة ١/ ١٨٥ .

(٣) نفس المصدر ١٦/ ١٤١ .

(٤) نفس المصدر ١٦/ ١٨٠ .

ويلاحظ تناقض المستشرقين في دعواهم تأثر القرآن بما سبق من الكتب .

فحين يزعم فنسنك أن قصة إبليس مأخوذة من النصرانية ، يزعم (سيل) و(تراتون) أنها مأخوذة من اليهودية .

وحين يزعم فنسنك أن النبي استقى فكرة الحور من النصرانية ، يزعم (سيل) المستشرق النصراني أنها مأخوذة من المجوس .

قس على ذلك في البسملة والصلاة والعفة والزكاة والشفاعة [١] .

شاخث والقرآن الكريم :

يقول شاخث : إن أول مصادر الشرع في الإسلام وأكثرها قيمة هو الكتاب وليس هناك شك في قطعية ثبوته وتنزيهه عن الخطأ على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه (الحج:٥١) كما أنه ليس من شك أيضاً في أنه وصل إلينا من غير تحريف على الرغم من نسيان الرسول لعدة آيات الكتاب (البقرة ١٠٠- الأعلى ٦) [٢].

انظروا إلى شاخث وهو يضع السم في العسل ، يمدح ويقدح، حيث زعم أنه – أي القرآن – قطعي الثبوت ثم يستدل بأنه قد يختلط بغيره ويستشهد بآية سورة الحج وهي عامة في الأنبياء جميعاً ثم هي تقطع بعدم التخليط إذ الله عز وجل ينسخ ما يلقي الشيطان ويبقي آياته.

---

(١) رسالة العقيدة الإسلامية ص٤٠٧ دائرة المعارف الإسلامية . تأليف خالد القاسم .

(٢) الدائرة ٣/ ٤٨٣ والآية التي يريدها من سورة الحج هى ٥٣ وليست ٥١ .

وآية سورة الأعلى لا تدل على النسيان بل على عدم النسيان .

كما يزعم هذا المستشرق في الوقت الذي أقر بثبوت القرآن القطعي، أن آية الرجم قد اختلطت بالقرآن الكريم وأنها غير صحيحة ، والأحاديث المتعلقة بها لا تخلو من غرض عند واضعي هذه الأحاديث، والنبي كما يزعم هذا اليهودي لم يطبق حكم الرجم أبداً (١) .

والحق أن ثبوت الرجم متواتر واتهام الصحابة والمؤرخين بالغرض لا يدل إلا على سوء النية وخبث الطوية من المستشرق .

ويرى شاخث أن المفسرين كان دورهم التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته (٢) .

والحقيقة أن التناقض في القرآن وهم لا يوجد إلا في ذهن هؤلاء المستشرقين إذ لو كان هناك أدنى تناقض لأنكب إليه المشركون الذين أجهدوا أنفسهم في محاولة التصدي للنبي ودعوته ولكنهم لم يجدوا حتى قالوا إنه سحر .

هورفتس والقرآن : يزعم هذا المستشرق اليهودي أن القرآن الكريم قد تأثر كثيراً باليهودية .

فلفظة الزبور في القرآن الكريم منقولة من المزمور، بل إن الآية التي فيها الزبور في سورة الأنبياء تكاد تكون منقولة من المزمور ٣٧

(١) الدائرة ١٠ / ٤١٢ .

(٢) نفس المصدر ٣/ ٤٩٠ .

بالنص ، ويحتمل أن يكون ذلك تم عن طريق الشعراء الجاهليين ، كقول امرئ القيس : كخط زبور في مصاحف رهبان) (١) .

وغني عن البيان أن أول ترجمة للتوراة إلى العربية كانت بعد وفاة النبي ﷺ، كما أنه لا غرابة أن يتفق القرآن مع بعض ما ورد في الكتب السماوية لأن المصدر واحد، ثم إن القرآن الكريم قد أقر في أكثر من آية أن هناك أحكاماً فيه تتفق مع التوراة .

الرد على دعوى التأثر بالتوراة :

في البداية لسنا نزعم أن التوراة قد بدلت تبديلاً كاملاً ، بل إن عمل الأحبار كان بالزيادة أو النقصان أو التبديل لآية مكان آية ، أو تفسير الآية على غير وجهها الصحيح ، ولذا يقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧٨) .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ (٢) .

ويقول : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٣) .

والدليل على أن التوراة قد بقي بها بعض آثار الوحي أن الحق

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ٣٣٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٥٩ .

(٣) سورة النساء الآية :٤٦ .

سبحانه قال لرسوله : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ (المائدة : ٤٣) .

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٣) وإذا كانت التوراة تشتمل على بعض الوحي الصحيح فلا غرابة أن يشتمل القرآن على بعض ما ورد في التوراة ، لأن كلاً من القرآن الكريم وصحيح التوراة قد خرجا من مشكاة واحدة .

فقصة نوح مثلاً وردت في كل منهما ولكن التوراة تخلو تماماً عن ذكر الحوار الدائر بين نوح وابنه ، وأيضاً قصة يوسف وردت في الكتابين ولكن لا نجد في التوراة أثراً لأمر النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

ولا نجد أيضاً ذكراً لمسألة القميص .

هذا فيما يتعلق بالأمور المتشابهة بين كل من القرآن الكريم والتوراة ، التي طالما جعلها المستشرقون اليهود مادة للقول بأن الرسول ﷺ قد تأثر بالتوراة تمهيداً للقول بأن القرآن من تأليف محمد [١] .

والمستشرقون اليهود – خاصة جولدزيهر وهرشفلد ومرجليوث وإبراهام جيجر – يعرفون تماماً أن القرآن ليس متطابقاً مع التوراة تماماً حتى تكون لهم حجة في ذلك.

ذلك أن القرآن العزيز قد تضمن أموراً تختلف تمام الاختلاف عما ورد في التوراة .

فمثلاً قضية الألوهية، فالقرآن الكريم يصف المولى سبحانه بكل

(١) الموسوعة ص٦٠٩ .

كمال يليق به وينزهه عن كل نقص ، وتحتل مسألة توحيد الله مكانة بارزة في القرآن ، بينما نجد التوراة تصطبغ بصبغة التاريخ اليهودي .

فاليهود طوال تاريخهم لم يقدروا الله حق قدره، ولم يوحدوه توحيداً خالصاً ، اللهم إلا في بعض فترات نادرة .

ففي التوراة : الرب سبحانه يسمي (الوهيم)، أي الآلهة، والرب سبحانه يتعب بعد خلق السموات والأرض، والرب يبكي، ويندم ، ويمرض .. الخ (١) .

وصورة الأنبياء في العهد القديم تختلف تمام الاختلاف عن مثلها في القرآن ، فحيث الصورة في القرآن أنصع ، فالأنبياء هم صفوة البشر الموصوفون بالكمال البشري ، والمعصومون والمبرأون من كل عيب يخل بالرسالة والنبوة ، في حين نجد الصورة في التوراة مختلفة تماماً ، فالأنبياء لا عصمة لهم ، لهذا نجدهم زناة ، قساة ، قتلة ، ولا يتورعون عن الفواحش حتى مع المحارم والجيران ، فهي في حقيقتها صورة لليهودي التلمودي (٢) .

ومسألة اليوم الآخر في التوراة ، تختلف عنها في القرآن الكريم ، ذلك أن التوراة لم يرد فيها ذكر الآخرة، إلا مرة واحدة في سفر دانيال ١٢:٢ بينما القرآن الكريم مليء بآيات البعث والحشر وأمور الآخرة إجمالاً ، أو تفصيلاً .

---

(١) اليهود من المهد إلى اللحد ص١٠١ د. عبد العزيز المرشدي . دار الندى . القاهرة .

(٢) نفس المصدر ص١٠٤ .

وفي القرآن الكريم بعض القصص الذي ليس له مثيل في التوراة ، ولا في غيرها مثل قصة سيدنا هود مع قومه عاد، وقصة سيدنا صالح مع قومه ثمود ، وقد أخذت هاتان القصتان مكاناً بارزاً في سياق القصص القرآني .

والقرآن الكريم يختلف تماماً في طرحه لمسألة الإنسانية حيث الكل سواء أمام الله لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود .

وأن الفضائل لا تتغير ولا تتبدل فالزنا حرام سواء مع المسلمة أو غيرها . والربا حرام مع المسلم ومع غير المسلم .

وأما التوراة فإن اليهود هم البشر على الحقيقة وأنهم أبناء الله وشعبه المختار الذي يفرح لفرحهم ويحزن على ما يصيبهم من أذى .

وأن الربا حرام مع اليهودي وحلال مع غير اليهودي .

ونختم هذه القضية بالقول : (بأن القرآن الكريم نزل معظمه في مكة [٨٥ سورة] ولم يكن بمكة يهود ولا نصارى ، ولا كان للنبي ﷺ صلة بهم خارج مكة ، فمن أين استمد عليه السلام القرآن في مكة ، وما نزل من القرآن في المدينة احتوى على جدل قوي بيّن فيه أخطاء أهل الكتابين ، وبخاصة اليهود ، وقتلهم لرسلهم ، وتطاولهم على الذات الإلهية ، فهل يعقل مع ذلك كله أن اليهود هم الذين أملوا على خاتم الرسل مادة القرآن ؟) (١) .

---

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام ص١٦ .

المستشرقون اليهود وقصة الغرانيق

لقد عمد المستشرقون اليهود - إلى أكذوبة باطلة من الأساس خلاصتها أن النبي ﷺ كان يقرأ على قرمة سورة النجم ومدح فيها أصنامهم قائلاً : (تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجي) . بعد قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللاَّتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ .

ولا شك أن التخبط الذي يقع فيه المستشرقون حين يزعمون تارة الأثر اليهودي على القرآن، وتارة يرون أن محمداً قد تأثر في تأليفه القرآن بالرهبان النصارى، ثم هم الآن وفي هذه الفرية يرون أن محمداً قد هادن قريش وامتدح أصنامهم ، وهم في كل ذلك إنما يهدفون إلى القول بأن القرآن من وضع محمدﷺ وليس وحياً إليهاً .

وأثر الجاهلية على القرآن قال به المستشرق اليهودي أوجست فيشر الذي كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. والذي خلف أتباعاً له ينادون بمثل ما نادى به، على رأسهم الدكتور طه حسين ، الذي سار في كتابه الشعر الجاهلي على درب أساتذته من المستشرقين ، وإن كان لم يقل بقصة الغرانيق ، لكنه قال بمثلها وأفدح مثل أسطورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وانتساب العرب لهما .

وممن قال بقصة الغرانيق وأنها كانت من القرآن وأن المسلمين قد حذفوا الآيات المتعلقة بها من القرآن المستشرق اليهودي (بلاشير) زاعماً هذا اليهودي وواهماً أن القرآن قد تأثر بمصادر ثلاثة : اليهودية

– النصرانية – الجاهلية [١] .

وقصة الغرانيق لعلم كل من له إلمام بالإسلام أنها قصة موضوعة مختلقة ليس لها قيمة علمية من حيث التوثيق، لكن المستشرقين – وهذا دأبهم – يحاولون اصطياد أي رواية مهما كانت درجة تهافتها وتفاهتها ليستخدموها سلاحاً ضد الإسلام .

ولا شك أن القرآن الكريم ومنذ بداية نزوله كان قضيته الأساسية هى الدعوة إلى توحيد ال له ، فلا يعقل أن يمتدح – والحالة هذه – هذه الأصنام التي كانت تعبد من دون الله .

مصدر الشعر الجاهلي :

إحدى الافتراءات التي افتراها المستشرقون اليهود ما أوهموا به أنفسهمّ أولاً وغيرهم ممن يظنون بهم خيراً أنهم ينتهجون نّهجاً علمياً في نقدهم للقرآن .

فقد صورت لهم أوهامهم أن القرآن الكريم فيه اقتباسات من شعر الجاهلية كأمية بن أبي الصلت ، وورقة بن نوفل ، وهو كاهن نصراني عدوه شاعراً وامرئ القيس الشاعر الجاهلي الماجن .

وممن قال بهذا الهراء مرجليوت اليهودي وهرشفيلد .

وعمل هؤلاء المستشرقين اليهود يقوم على فكرة المشابهة والموازنة بين بعض الأبيات الشعرية وبعض الآيات القرآنية .

---

(١) كتاب مستشرقون لنذير حمدان ص٢١٨ .

فمثلاً حين قال أمية بن أبي الصلت :

ويوم موعدهم أن يحشروا زمراً ... يوم التغابن إذ لا ينفع الحــذر
مستوثقين مع الداعـــي كأنهم ... رجل الجراد زفته الريح منتشر
وأبرزوا بصعيــد مستــو جرز ... وأنزل العرش والميزان والزبر
يقول خزانها ما كان عندكــم ... ألم يكن جاءكم من ربكم نذر
قالوا: بلى فتبعنـــا فتية بطروا ... وغرنا طول هذا العيش والعمر

قال المستشرقون إن هذه الأبيات هي نفس الآيات التي تقول : **﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ . خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾** (١)، وقوله تعالى : **﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾** (٢)، وقوله تعالى: **﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾** (٣) .

ولا شك أن المقارنة بين النصين محاولة ليست دقيقة لأنها مقارنة وموازنة بين كلام خلق وكلام مخلوق .

ولا شك أيضاً أنه على فرض صحة نسبة الشعر لأمية فليس فيه ما يشير إلى تأثر القرآن به ، لأن مجرد وجود ألفاظ في الشعر تشبه ما ورد في القرآن لا يعني التأثر لأن القرآن لسان عربي مبين، يعني أنه

---

(١) سورة القمر الآيتان : ٦ ، ٧ .
(٢) سورة الكهف الآيتان : ٧ ، ٨ .
(٣) سورة الملك الآيتان: ٨ ، ٩ .

يشتمل على مصطلحات يستعملها العرب .

أما ورود هذه المصطلحات في شعر أمية فليس بغريب على رجل قال فيه رسول الله ﷺ : أسلم شعره وكفر قلبه، وما ذلك إلا لاشتمال شعره على قضايا دينية .

ثم من يدرينا لعل أمية هو الذي تأثر بالقرآن الكريم ، فضمَّن شعره هذه الألفاظ ونحن نعلم أنه كان معاصراً لرسولﷺ .

والحقيقة أنني أختلف مع الدكتور عبدالعظيم المطعني حين شكك في نسبة هذا الشعر – دون دليل – لأمية بن أبي الصلت بحجة أنه لو كان لأمية فعلاً لسارع مشركو العرب للوقوف في وجه النبيﷺ وقالوا له إنك سطوت على شعر شاعرنا وزعمت أنك رسول (١) .

ونحن نعلم أن فرقاً واسعاً وبوناً شاسعاً بين نظم الآيات القرآنية التي مرت وبين هذه الأبيات التي سبقت .

ثم إن قصائد لأمية وزيد بن عمرو بن نفيل وحتى زهير بن أبي سلمى ، في الجاهلية ، تتضمن بعض القيم والمبادئ التي تتفق مع ما ورد في القرآن، ومشركو العرب – وهم أهل بيان – يعرفون هذه القصائد ومع ذلك لم يسارعوا إلى الوقوف في وجه النبي ويقولون له سطوت على شعرائنا ، بل كانوا مع كفرهم يقولون عن القرآن وما هو بالشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى عليه .

---

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام ص٣٧ .

والدكتور المطعني يعلم تماماً مدى خطورة القول بأن الشعر العربي منحول ومؤلف بعد عصر صدر الإسلام .

لكن مع ذلك فإن مرجليوت وأشياعه من اليهود وغيرهم حاولوا بكل وسيلة تصيد أوجه مشابهة ، ولو من بعيد، ليقفزوا إلى نتيجة خطيرة وهي أن القرآن من صنع محمد وأنه ليس وحياً من عند الله .

وإذا كان لنا ألا ندهش ولا نعجب من عمل هؤلاء المستشرقين اليهود حيث تعميهم عصبيتهم لدينهم أن يتخلوا عن المنهج العلمي السليم وأن يحاولوا إلصاق أية تهمة بهذا الدين وأهله .

فإن الدهشة والعجب من أبناء جلدتنا الذين يلهثون وراء هذا الغثاء، مثل طه حسين الذي يقول: في الشعر الجاهلي ص٢٦(وللتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي) .

بل إن طه حسين يرى أن إسماعيل وقصة مجيئه إلى مكة مع أمه هاجر حيلة أتى بها الرسول ﷺ لإثبات الصلة بين اليهود والعرب (وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح) (١) .

---

(١) تحت راية القرآن ص٢٩٠ للأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق عبد الله المنشاوي، دار الإيمان – المنصورة .

القرآن والمصادر المتعددة لدى فنسنك :

إن الحقد اليهودي الذي ملك كل مشاعر الذين يزعمون أنهم يبحثون عن الحقيقة المجردة من كل هوى هو الذي أوصل هؤلاء إلى تلمس أوجه المشابهة ولو كانت بعيدة للوصول إلى القول ببشرية القرآن ولنضرب أمثلة لما زعمه فنسنك تأثراً بمصادر مختلفة لمجرد وجود الشبه بين المصدرين .

مفهوم الصبر في القرآن بكل ما يتضمنه من معاني هو في جوهره يرجع إلى التفكير اليوناني المتأخر ويشمل فكرة السكون عند الرواقين وهو صبر النصارى[١]، هذا ما ذكره اليهودي فنسنك .

المثل المذكور في قوله تعالى ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ** ﴾ فمنقول عن المزامير [٢] .

صفة الرسول في سورة الأحزاب ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ...** ﴾ فمنقول من سفر أشعيا [٣] .

زوجة فرعون المؤمنة في القرآن هي أخت فرعون في التوراة ولكن حصل بعض الالتباس [٤] . هذا ما زعمه فنسنك .

والنهي عن الزنا وفضل العفة في القرآن من تأثير اليهودية والنصرانية كما يقول شاخث .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٤/ ١٣٠ مادة : صبر .

(٢) نفس المصدر السابق ١٠/ ١٤٠ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) دائرة المعارف ١/ ٦٣ .

والرجم يرجع بلا شك إلى الشريعة اليهودية [١] .

والشفاعة أخذها النبي من اليهود والنصارى[٢]، كما يقول فنسنك.

والزكاة أخذها من اليهود وكذا الطهارة [٣] .

هل هذا هو المنهج العلمي ، هل لمجرد الاتفاق في الاسم يكون التأثر ، وهل نفي القرآن أن يكون الرجم شريعة يهودية ، وهل الزنا والعفة وغيرهما مما يختلف عليه اثنان حتى تحتاج إلى تفرد حتى يكون اللاحق متأثراً بالسابق، لكنه الحقد على الإسلام ودستوره الدائم .



(١) نفس المصدر ١٠/ ٤١١ .

(٢) نفس المصدر ١٣/ ٣٢٣ .

(٣) نفس المصدر ١٠/ ٣٥٦ .

الطعن في النبوة عند مستشرقي اليهود

مثلما شكك المستشرقون اليهود في الوحي الإلهي وزعموا أن القرآن من صنع محمد وبتأثير توراتي أو انجيلي أو جاهلي. فقد حملوا على نبوة النبي وكل ما يتصل بها حملة شعواء .

فهم يزعمون أن النبي محمد التقى بالراهب بحيرا وتلقى عنه التعاليم الدينية ، مدى من الزمان مع أنه من المعروف أن لقاء النبي ببحيرا كان وهو في التاسعة ، ومن الطبيعي أن الطفل في هذه المرحلة المبكرة لا يمكن له بحال أن يستوعب المسائل الدينية فضلاً عن أن هذا اللقاء كان عابراً لم يستغرق سوى ساعة أو بعض ساعة ، وكان النبي في صحبة عمه أبي طالب .

ثم يزعمون أيضاً أن الرسول تلقى من ورقة بن نوفل مفاهيم المسيحية ، مع أن ورقة لم يكن داعية للنصرانية بل هو فقط علم من إرهاصات النبوة أن محمداً هو النبي الذي بشر به المسيح ، ثم إن الرسول ﷺ لو تأثر بورقة لكان ذلك حجة للمشركين (١) .

ومستشرقو اليهود وهم في سبيل الطعن في نبوة النبي محمدﷺ إنما يثيرون بعض الشبهات التي هي في الحقيقة هزأة للساخرين لأنها لا تقف أمام أبسط النقود العلمية .

إنكار معجزاته ﷺ عند المستشرقين :

إن الحرص على إنكار معجزات النبي وصولاً إلى إنكار نبوته مما

(١) تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات للأستاذ أنور الجندي ص٨٤ .

يمتاز به اليهود من المستشرقين ، حيث يدعي أحدهم :

(أن النبي لم يظهر آية أخرى - غير القرآن - تدل على أنه ساحر، وهو لم يكن ممن يصنعون العجائب كموسى وسليمان وعيسى، وجاء في الآية ٣ من سورة الأنبياء أنه لم يأت بآية من هذا القبيل) (١) .

ويمكن الرد على هذه السخافات :

بأن الآية التي تدل على نفي الآيات في سورة الأنبياء هي الآية الخامسة (٢) وليست الثالثة هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن اليهود يعترفون بأن المعجزة ليست شرطاً في النبوة، فيوحنا المعمدان (يحيى) ليس له معجزة ومع ذلك هو نبي عندهم وعندنا .

ومن ناحية ثالثة لو لم يكن للنبيﷺ إلا القرآن معجزة لكفى في التدليل على صدقه قديماً وحديثاً ؛ لأن عجائبه لا تنقضي .

ومن ناحية رابعة فإنه قد تواتر عن وقوع معجزات لرسول الله بما لا يدع معه مجالاً للشك إذ لا توجد معجزة لرسول سابق إلا وقع لرسول الله مثلها أو أبلغ منها .

إنكار إرهاصات النبوة :

يحرص المستشرقون اليهود على إنكار كل ما يؤيد صدق النبي في دعواه من ذلك مسألة الإرهاصات، من ذلك ما ذكره (ولا فيدا)

---

(١) الدائرة ١١/ ٣١٠ .

(٢) وهي الآية ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ .

اليهودي في دائرة المعارف ، حين قال : (ويجب ألا نحفل بالقصة الواردة في كتاب الطبري عن فاطمة بنت مر كاهنة تبالة التي شاهدت نوراً سماوياً يتلألأ على وجه عبد الله بن عبدالمطلب والد النبي) (١) .

ونحن أيضاً لم نحفل بمثل هذه الروايات ذلك أن نبوة النبيﷺ لا تتوقف على مثل هذه الروايات ، لكننا نرفضها لعدم ثبوتها لكن المستشرقين اليهود يرفضونها لرفضهم نبوة النبي بدليل رفضهم لما ثبت صحته من الحوادث مثل خروج نور من السيدة آمنة أم النبيﷺ أضاء لها قصور بصرى بالشام ، وكذا شق الصدر ... الخ .

نفي المستشرقين اليهود البشارات في الكتب السابقة :

يحاول المستشرقون جاهدين نفي نبوة النبيﷺ وذلك بالتشكيك في دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ، ففي مجال البشارات بالنبي في الكتب السابقة يقول هورفتس اليهودي في دائرة المعارف .

وقد أقنعت الآية ١٥٦ (٢) من سورة الأعراف المؤمنين بأن التوراة قد بشرت بقدوم محمدﷺ ، وترد المحاولات التي بذلت لإثبات ذلك إلى صدر الإسلام ، ولكن لم يحدث إلا في منتصف القرن الثالث أن سيقت فقرات بعينها من التوراة وغيرها من أسفار العهد القديم مترجمة ترجمة حرفية وفسرت بأنها بشائر بقدوم محمد) .

---

(١) دائرة المعارف ١٦/ ٥٠٢ .

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ .

وإذا كان هورفتس يقرر أن المحاولات بدأت في منتصف القرن الثالث فإن (شاخت) يرى أن المسلمين لم يطلقوا على محمد اللقب المبشر به قبل منتصف القرن الثاني (انظر ابن هشام) والإشارات العارضة إلى النبي بأحمد في شعر القرن الأول الهجري من ضرورات الشعر [1] .

كما يذهب اليهودي فنسنك أن معرفة أهل الكتاب بالنبي من قبيل الأساطير حيث يقول بعد سرد قصة (بحيرا) الراهب : (وليس لدينا ما نقوله إلا القليل من الناحية التاريخية عن صحة هذه الأساطير) وهذا - كما هو واضح - تناقض في المنهج ، أدى إليه ما انطبع في فؤاده هو وأمثاله ، من أن الرسولﷺ ليس صادقاً في دعواه .

ومن المعلوم أن البشارات بالنبي ثابتة بالأدلة القطعية وبدليل أن بعض العقلاء من أهل الكتاب - مثل ابن سلام وغيره - قد صدَّقوا ببعثته وأقروا بأنهم كانوا يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم .

أما كون البشارات بالنبي لم تحدث إلا في القرن الثاني أو الثالث فيدحضها وجود ذلك في القرآن الكريم .

محاولة التقليل من أهمية السنة :

يزعم المستشرق اليهودي شاخت (أن بعض الأحكام التي لم ترد في القرآن الكريم عادة ما تكون قليلة الأهمية ولم تطبق تطبيقاً عاماً بالرغم من صدورها عن النبيﷺ ومن أول الأمر لم توضع حجية النبي في الإسلام موضع الشك حتى في الأمور التي لم ينص عليها الكتاب، ولكن

---

(١) نفس المصدر ٢/ ٢٥٨ .

في الوقت نفسه كانت أفعاله تعتبر بشرية بحتة حتى ما مس منها أمور الدين فكانت بهذا لا تعتبر معصومة عن الخطأ ، ونقدت هذه الأفعال أكثر من مرة وكان الكتاب نفسه يلومه أحياناً على بعض أفعاله (١) .

ثم نجده أيضاً يقول : إذا كان الجانب الأكبر من الفقه ينهض على سنة محمد صحيحها وزائفها فقد اعتبر المسلمون السنة منزهة عن الخطأ (٢) .

ويلاحظ على هذا الكلام كثرة الاضطراب وعدم الفهم من جانب المستشرق وإن كان مرد ذلك كله هو محاولة التقليل من أهمية السنة كمصدر رئيسي من مصادر التشريع عند المسلمين .

إذ كيف تكون السنة عند المسلمين غير معصومة ثم هي عندهم منزهة عن الخطأ ؟

وكيف تغافل هذا المستشرق عن ما ورد في القرآن عن مكانة السنة في التشريع في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وإذا كان القرآن في بعض آياته يصوب أفعال النبي ﷺ فإن هذا دليل على عصمة النبي في أقواله وأنه لا ينطق عن هوى . إذا العاصم له عن الخطأ هو الله عز وجل .

جولدزيهر والحديث النبوي :

يرى جولدزيهر وبعد افترائه على القرآن – أن الحديث النبوي هو من صنع الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب، حيث يقول: (ولا نستطيع

---

(١) دائرة المعارف ٣/ ٤٩٢ .

(٢) نفس المصدر ٣/ ٤٩٥ .

أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول أو من عمل رجال الإسلام القدامى .. ومع بعد الزمان والمكان عن المنبع الأصلي اخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا ترى عليها شائبة في ظاهرها ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه) (١) .

ولا أدري ما السر في عزو بعض الأحاديث الموضوعة إلى الرسول إذا كان هو القائل : إذ الموضوع ما لم يثبت عن النبيﷺ لكنه في هذه المقولة يريد أن يشكك في الحديث النبوي – كما شكك في القرآن .

كما أنه يغمز الصحابة والفقهاء بالكذب على رسول الله ﷺ وأنهم كانوا يضعون الأحاديث وينسبونها إلى النبي .

طعن جولدزيهر في أبي هريرة :

نظراً لأن الصحابي الجليل أبا هريرة كان من أكثر الناس رواية لحديث الرسول فقد أخذ قسطاً كبيراً من الطعن والتجريح من ذلك ما قاله جولدزيهر حيث يقول : (وتقدر عدد الأحاديث التي تضاف إليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث ، لا ريب أن عدداً كبيراً منها نحل له .. وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع في الخطأ .. فقالوا إن النبيﷺ لفه بيده في برده بسطت بينهما أثناء حديثهما، وبذلك ضمن أبو هريرة ذاكرة تحفظ كل ما سمع .. وتظهرنا طريقة روايته للأحاديث التي ضمنها أقل الأشياء شأنا بأسلوب مؤثر

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص٤٩ .

على ما امتاز به من روح المزاح الأمر الذي كان سبباً في ظهور كثير من القصص ، ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائماً قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر، وقد اضطر أحياناً إلى أن يدفع عن نفسه تقوّل الناس ، كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك [١] .

ولا ندري أي المصادر اعتمد عليها جولدزيهر في هذه الدعاوى، ومن من الصحابة كان يتشكك في رواية أبي هريرة وشيخ الإسلام ابن تيميه يقول إن الصحابة كلهم كانوا يأخذون بحديث أبي هريرة .. وإن أحداً من الصحابة لم يطعن في شيء رواه أبو هريرة [٢] .

ومع ذلك لم يقل أحد بعصمة أبي هريرة بيد أن مكانه من رسول الله وملازمته له وقوة ذاكرته وبركة دعاء النبي له كل ذلك يمنع وقوع النسيان منه في رواية الأحاديث .

وكونه يدافع عن نفسه ليس مرده التشكيك ولكن لأنه كثير الرواية عن الرسول وقصة البردة ليست مختلقة إلا عند هذا المستشرق اليهودي إذ القصة في صحيح البخاري .

الإمام الزهري ومستشرقي اليهود :

يصف المستشرق اليهودي هورفتس الإمام الزهري بوصف

(١) الدائرة ٢/ ٢٥ .

(٢) مجموع الفتاوي ٤/ ٥٣٥ .

المتزلف إلى الملوك حيث يزعم أن الزهري شخص يؤدي فروض الطاعة والولاء لمروان بن الحكم ، ثم شخص إلى بلاط عبد الملك ، بل ذهب إلى دمشق تحدوه الآمال ليروي لعبد الملك حديث ((**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** ... الحديث))، ثم يروي قول مكحول عن الزهري (أي رجل هو لولا أنه أفسدته نفسه بصحبة الملوك) [(١)] .

ثم يأتي مستشرق يهودي آخر وهو جولدزيهر ليشكك في رواية الزهري مدعياً أنه كان يضع الحديث على رسول الله حيث يقول: (إن عبدالملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها بعقيدة دينية فوجد الزهري وهو زائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعداً لأن يضع له أحاديث في ذلك فوضع أحاديث ، منها حديث : لا تشد الرحال ، ومنها حديث الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة ، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث – يقول جولدزيهر– أنه كان صديقاً لعبد الملك بن مروان وكان يتردد عليه وأن الأحاديث التي وردت في بيت المقدس مروية عن طريق الزهري فقط) [(٢)] .

والحق أن الزهري ذلك العالم الرباني لا يمكن لمثله أن يتزلف للحكام اللهم إلا فعل ما يجب تجاه ولي الأمر، ثم إن ابن حجر ذكر أنه ذهب هو وابن عمر وسالم مولى ابن عمر[(٣)] .

---

(١) الدائرة ١٠/ ٤٥٥ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور/ مصطفى السباعي ص١٩١ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥١ .

والتلبيس الوارد في العبارة هو دأب وديدن هؤلاء المستشرقين الذين لا يتورعون عن التحريف ، ولا أدل على ذلك من نقل جولدزيهر عن الإمام الزهري: قوله (إن الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث) . بينما النص هو: (إن الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث) ولا غرابة في ذلك فإن آباءهم هم الذين قال الله عنهم : ﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾، وقال عنهم ﴿ **مِنْ الَّذِينَ هَادُو يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾.

وفرق بين أحاديث بدون (ال) وبين أحاديث بأل. ذلك أن الإمام الزهري كان لا يكتب الأحاديث فألح عليه ولي الأمر أن يكتب حديث رسول الله فقال هذه العبارة .

لكن جولدزيهر ذكرها بدون (ال) حتى يشير إلى أحاديث بيت المقدس خاصة وأنها صنعت زمن عبد الملك .

ولا عجب من أن يحاول هذا اليهودي من خلال كلامه أن يبين أن قدسية بيت المقدس ليست من أصول الإسلام ، وأن الأرض المقدسة هي عند اليهود فقط ، أقول لا عجب في ذلك إنما العجب كل العجب من أولئك العلمانيين الذين يلهثون وراء هذا المستشرق ويشككون في الإمام الزهري خاصة وهو الذي روى حديث: (لا يحل دم امرئ إلا بثلاث ..) وحديث : (من بدل دينه فاقتلوه) .

ثم هل من المعقول أن عبدالملك أراد أن يصرف الناس عن ركن من أركان الإسلام الخمسة ، إن ذلك – لو حدث – يعد كفراً صريحاً ونحن نبرئ عبد الملك والزهري عن التدبير لمثل ذلك .

ويكفي قول الإمام أحمد بن حنبل عن الزهري : (الزهري أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً) [(١)] .

الطعن في السيرة النبوية لدى اليهود :

يقول دلافيدا طاعناً في سيرة النبي محمدﷺ: إن هذه السيرة يرجع أصلها إلى التحول الذي طرأ على شخصية محمد في ضمير المسلمين الديني وإلى الأثر الحاسم الذي أحدثته عناصر مختلفة بعينها في هذا التحول وإلى شيء آخر فوق هذا كله ، وهو أن احتكاك المسلمين باليهودية والمسيحية ورغبتهم في أن يضعوا منشئ الإسلام في كفة منشئ هذين الدينين قد شجعاهم على وضع تلك القصص التي أحاطوا بها شخص النبي ﷺ والتي أحدثت هذا التحول الشامل في طبيعة شخصيته من مولده ، بل قبل مولده إلى وفاته وبدلها تبديلاً ، ذلك أن النبي ﷺ الذي أعلن بصريح العبارة في خلال حياته الفانية أنه إنما يعد نفسه بشراً كسائر البشر ، قد أصبح في النهاية يمثل الصورة الظاهرة لكمال الخلق الإلهي وغدت حياته أشبه بنسخة من حياة موسى وعيسى أسبغ على أدق تفاصيلها طابع الوحي والخوارق .

وهذا التوسع قد نمت خطوطه العريضة فيما يظهر بعد وفاة النبي بقرن واحد[(٢)] .

ولا شك أن هذا المستشرق اليهودي إنما يبغي من وراء هذه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٦ .

(٢) الدائرة ١٢/ ٤٤٦ .

المغالطات التأكيد على الأثر اليهودي والنصراني في الإسلام ، وأن محمداً ليس رسولاً من عند الله ، وأن المسلمين هم من وضعوا هذه الصورة لمحمد ﷺ وأضافوا إليها صبغة الوحي والأمور الخارجة، **ولنا أن نتساءل :**

هل القول بأن محمداً بشرٌ ينفي تعظيم تلك الشخصية ؟ وهل هناك من المسلمين من يعتقد بألوهية محمد ؟ وهل الأديان من صنع البشر ؟

ثم إن السيرة النبوية قد اعتمدت في مصادرها على أوثق المصادر مثلها مثل السنة . وأيضاً فإن النصارى يقولون بألوهية المسيح فلو كان ثمة تأثر بالنصارى لقال المسلمون قولهم، ولكن محمداً ﷺ قد حذّر من هذا الأمر وقال : ((**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله**)) فأين هذا من ذاك ؟

ولا يخفى على القارئ هذا التخبط في الدافع وراء كتابة السيرة ، حيث يزعم أنه أسوة بسيرة الملوك البهلوية، وتارة بالعرب في الجاهلية، وتارة باليهود والنصارى ، وهذا دليل على تخبط هذا المستشرق في كلامه .

يقول المستشرق اليهودي (دلافيدا) إن السيرة أطلقت على الروايات الخاصة بالنبي ﷺ أسوة بسير الملوك البهلوية ، وخلد ذكر المغازي على غرار ما كان يفعل العرب في الجاهلية لقوادهم فلا يختلف اختلافاً مشهوداً عن أمراء الجاهلية فليست هذه المغازي إلا

تطوراً لأيام العرب [١] .

برنارد لويس وتحويل القبلة :

وهناك فرية المستشرق اليهودي (برنارد لويس) في كتابه العرب في التاريخ التي يزعم فيها أن محمداً كان يستقبل في صلاته بيت المقدس استرضاء لليهود وعندما رفضوا الإيمان به والتعاون معه تحول بصلاته إلى الكعبة في مكة .

ومن المعلوم أن الرسول أثناء صلاته إلى بيت المقدس كان يتطلع إلى الصلاة إلى جهة الكعبة قبلة أبيه إبراهيم، وكان يقلب وجهه في السماء فأنزل الله عز وجل : ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** .. ﴾ .

ثم إن من أسرار تحويل القبلة الاختبار والابتلاء ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ** ﴾ .

ولعل من أهم حكم ذلك الإشارة من الله إلى أن المسلمين مسئولون أمامه عن بيت المقدس مسئولتيهم عن الكعبة إذ هو أولى القبلتين .

لماذا لم يعين الرسول خليفة له ؟

يقول المستشرق كازانوفا اليهودي إن محمداً ﷺ لم يعين خليفة له، لأنه كان يعتقد أن القيامة ستقوم في حياته أو بعد موته مباشرة ، ذكر هذا الكلام المضحك الذي لا يمكن صدور مثله عن عاقل في كتاب له

---

(١) دائرة المعارف ١٢/ ٤٤٠ .

يسمى (محمد ونهاية العالم) وقد جاراه في ذلك أيضاً المستشرق اليهودي بلاشير في كتابه (القرآن) حيث يقول : إن خيالاً ظل ملازما للنبي الجديد بأن الكارثة التي ستقضي على العالم ستكون قريبة دون أن يحدد الوقت الذي ستقع فيه الكارثة .

ويمضي (كازانوفا) فيقول : إن أصحاب النبي كانوا مثله في هذا الاعتقاد ولذلك أحسوا بالحرج لما توفي النبيﷺ ولم تقع الساعة فكان لابد من البحث عن مخرج من ذلك الحرج .

ويتطوع كازانوفا بوهمه المريض الحاقد فيقول : إن ذلك المخرج كان في اضطرار أبي بكر إلى اختراع آيتين وإضافتهما إلى القرآن . إحداهما : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ﴾ (١) والثانية : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾ (٢) .

ولكن ما الدليل الذي اعتمد عليه هذا المستشرق في افترائه هذا ؟ إن دليله هو قوله تعالى مخاطباً النبي ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾(٣).

ويطول البحث إذا حاولنا الرد على هذه السخافات لكن يكفي القول بأنه ليس من بين أسماء القيامة اليقين، وأن المراد باليقين هنا هو الموت.

بلاشير والسيرة النبوية :

في كتابه (معضلة محمد) يظهر الحقد الصهيوني على رسول الله

(١) سورة آل عمران الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة الزمر الآيتان :٣٠-٣١ .

(٣) أنظر: افتراءات المستشرقين على الإسلام للدكتور المطعني ص ١٨٨ .

محمد حين زعم بلاشير أن القرآن من تأليف محمد ومن صنعه، ذاكراً مصدريه القرآن وأنه متأثر باليهودية والنصرانية .

أما فيما يتعلق بسيرة النبي فقد تناغم مع مواقف المستشرقين بعامة والمتجنية على رسول الله والتي لا تدع شبهة ولا افتراء إلا ألصقته به.

فهو يزعم أن فكرة نهاية العالم قد سيطرت على الرسول حيث يقول (توضح لنا التجربة الأولى للنبي الجديد أنه ما زال تحت وطأة النداء الإلهي يلازم خياله ، وتصوره للكارثة الأرضية التي ستقضي على العالم وتصوره للحساب الأخير، إن الساعة لقريبة ، ولا تحديد للوقت الذي ستقع فيه على البشر، وأن هلعاً عظيماً سيصيب الآثمين الموسرين) .

ولا أدري ما هو السر وراء هذا الإدعاء من كازانوفا وبلاشير وهما يعلمان أن القرآن المكي هو الذي تحدث كثيراً عن القيامة وأن القرآن المدني قد خطط للتشريع وإقامة دولة مدنية تقوم على تصور كامل للحياة الدنيا .

مرجليوت والسيرة :

ومن أعجب ما نسبه مرجليوت اليهودي إلى النبيﷺ (أنه عرف خدع الحواة وحيل الروحانيين ومارسها في دقة ولباقة ، وكان يعقد في دار الأرقم بن أبي الأرقم جلسات روحانية، وكان المحيطون به يؤلفون جمعية سرية أشبه بالماسونية ، ولهم علامات يتعارف بها أصحابه ، مثل : السلام عليكم ، وإرخاء عذبة العمامة فوق المنكبين) (١) .

---

(١) مقدمة الدكتور/ عبد الحليم محمود لكتاب (محمد رسول الله) ص٤٣ .

ومن مزاعم مرجليوث المضحكة قوله إن محمداً ﷺ سافر إلى مصر لأن كلامه عنها يدل على معرفة تامة بها [١] .

ولا ينسى مرجليوث في غمرة التهم التي يوجهها إلى الرسول محمد ﷺ أن يذكر الناس بمأساة خيبر وما حدث لهم ، وهي نفس النغمة اليهودية التي تعتمد على الأسطورة ثم تؤسس لها وتحاول من خلالها استدرار العطف والكسب المادي مثل ما فعلوا بأسطورة (الهولوكست) والذين قالوا: إن أفران الغاز النازية قد التهمت ستة ملايين من اليهود.

يقول مرجليوث : (عاش محمدﷺ هذه السنين بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب ، لكن نهب أهل مكة قد يبرره طرده من بلده ومسقط رأسه ، وضياع أملاكه ، وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية في المدينة ، فقد كان هناك على أي حال سبب ما – حقيقياً كان أم مصطنعاً – يدعو إلى انتقامه منهم ، إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد ، لم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأ يعتبر تعدياً منهم جميعاً ، لأن قتل أحدهم رسول محمدﷺ لا يصح أن يكون ذريعة للانتقام . وهذا يبين لنا ذلك التطور العظيم الذي طرأ على سياسة محمدﷺ ففي أيامه الأولى في المدينة أعلن معاملة اليهود كمعاملة المسلمين، لكنه الآن (بعد هذه السنوات الست) أصبح يخالف تماماً موقفه ذاك ، فقد أصبح مجرد القول بأن جماعة ما غير مسلمة يعتبر كافياً لشن الغارة عليها ، وهذا يفسر لنا تلك الشهوة

(١) كتاب أضواء على الاستشراق ص٨٧ .

التي سيطرت على محمد ﷺ والتي دفعته إلى شن غارات متتابعة ، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل ونابليون من بعد ، إن استيلاء محمد ﷺ على خيبر يبين لنا إلى أي حد قد أصبح الإسلام خطراً على العالم) (١) .

وهذا الكلام المملوء بالسخافة والهراء لا يدل إلا على نفس يهودية مريضة تتعامى عن الحقائق الثابتة وتفتعل الأساطير ثم تؤسس عليها أحكاماً ، ذلك أنه من الثابت تاريخياً أن يهود المدينة قد نقضوا العهد الذي أبرمه رسول الله معهم أكثر من مرة ، وتحالفوا مع أعداء النبي ﷺ ، كما أنه من الثابت تاريخياً أن يهود خيبر قد ذهب وفد منهم إلى قبيلة غطفان لتحريضهم على القيام بغزو المسلمين ثم حديث غزوة الأحزاب وبعد هذه الغزوة ما يكون للمسلمين أن يسكتوا عن هذا الوكر الذي صار مصدر قلق وتآمر ، لذلك فمن الإنصاف أن يعتبر هجوم المسلمين على خيبر من قبيل الدفاع الوقائي المشروع .

ثم إن من أبطل الباطل أن يقال عن النبي أنه تملكته شهوة شن الغارات على من لم يكن مسلماً ، وهو المعروف بتسامحه مع أهل الكتاب والذي حذر أتباعه من إيذائهم وأن من آذاهم فقد آذاه، ولا داعي للإطالة في الرد على وصف الإسلام والمسلمين بالضعف فقد بان تهافت هذه الفرية وتفاهتها .

ويزعم هذا اليهودي : (أن الآيات التي تحكي مجيء إبراهيم إلى

---

(١) محمد وقيام الإسلام لمرجليوث ص٢٦٢ ، نقلاً من أضواء على الاستشراق ص٨٧ .

مكة واستيطان ذريته بجوار البيت الحرام بعد ما بناه هو وابنه إسماعيل ، هذا الآيات مفتعلة ، دعت إلى افتعالها رغبة الرسولﷺ في تآلف اليهود وإثبات صلة قرابة بينهم وبين العرب ، على اعتبار أن العرب من نسل إسماعيل ابن إبراهيم ، واليهود من ذرية إسحاق بن إبراهيم) .

ويعلق الشيخ الغزالي على هذا الكلام بقوله : والمستشرق الذي يوجه هذا الاتهام إلى القرآن ينسى في غمرة حماسه أمرين :

أولهما : أن الحديث عن إبراهيم وزيارته مكة واتصاله بالعرب لم يبدأ في المدينة تألفاً ليهودها ، وإنما بدأ في مكة حيث لا يهود ولا زلفى ففي القرآن الكريم سورة اسمها (إبراهيم) جاء فيها : **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾** (سورة إبراهيم: ٣٥) .

والثاني: أن العهد القديم – الذي يرى هذا المستشرق (مرجليوث) أنه كتاب مقدس أثبت قدوم إبراهيم وابنه إلى بلاد العرب، فكيف يقول مستشرق متزن الفكر أن آيات سورة البقرة غير صحيحة وأنها قيلت استرضاء لليهود [١] .

ومن الأمانة العلمية القول أن مكة التي أتاها إبراهيم وولده إسماعيل لم تذكر صراحة في العهد القديم، وإنما ذكرت بصفاته ، ومفسرو العهد القديم يفسرونها بأنها قرية في فلسطين ، معنى ذلك أن القرآن الكريم

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ، للشيخ محمد الغزالي ص٣٩ – ٤٠ .

والسنة النبوية هما المصدران اللذان يمكن الاعتماد عليهما في هذا الشأن .

جولدزيهر والسيرة النبوية :

كغيره من المستشرقين يزعم هذا اليهودي أن الإسلام قد انتشر بالسيف وأنه لولا ذلك ما كتب للإسلام هذا الانتشار وهذا النجاح، يقول جولدزيهر : (أقام محمد ﷺ مملكة بسيفه الدامي) [١] .

كما يرى أن النبي ﷺ مجرد مبشر وهو ليس أسوة حسنة لأن فيه ضعف الإنسان وعيوبه (ولو أن الإسلام تمسك بشهادة التاريخ الحق تمسكاً دقيقاً لوجد أنه لا يستطيع أن يمد المؤمنين به بفكرة مثالية للحياة الأخلاقية وهي فكرة اتخاذ الرسول ﷺ مثلاً أعلى واحتذائه ، لكن المؤمنين به لم يتركوا أنفسهم يتأثرون بصورة محمد ﷺ كما رسمها التاريخ الصادق بل حل محلها منذ أول الأمر الأسطورة المثالية للنبي ﷺ في رأيهم .

ولا شك أن هذا الهراء والذي يدل على حقد ومرارة تجاه شخصية محمد ﷺ لا تحتاج إلى كثير عناء في الرد عليه وإبطاله، ذلك أنه حتى أعداء الإسلام بعضهم قد أقر بأن أخلاق محمد كانت سلوكاً عملياً يطبقه في حياته ، حيث كان قرآنا يمشي على الأرض ، وإن التاريخ الصادق هو الذي أخبرنا بهذا ، وليس تاريخ جولدزيهر .

وكلمة يجب أن تقال في هذا المجال وهو أننا لا نعجب من هذا الطفح اليهودي على كل ما هو إسلامي ، إن قرآنا أو سنة أو سيرة أو شريعة ، لكن ما يميت المسلم كمداً أن أعمالاً لهذا اليهودي وأمثاله

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص٣٣ .

تترجم ضمن الإبداعات الوافدة إلينا من الغرب وهي في حقيقتها سم زعاف ، والأدهى والأمر أن جولدزيهر ومرجليوت ونولدكه وغيرهم ممن لا يرقبون في مسلم إلاً ولا ذمة ، نجد من بين أبناء أمة محمدﷺ من يمتدحونهم ويثنون عليهم أيما ثناء كما فعل العقيقي ومحمد يوسف موسى وغيرهما .

بندلي جوزي والسيرة النبوية :

من المغالطات المضحكة لهذا المستشرق اليهودي زعمه أن اسم النبي ﷺ كان قبل الدعوة (قثم بن عبداللات) ضارباً عرض الحائط بكل ما ورد عن اسم النبي في كتب السيرة ، ولا ندري أي مصدر اعتمد عليه في هذا الزعم .

كما يقول هذا المستشرق اليهودي الماركسي، إن سياسة النبيﷺ مع المكيين قد تغيرت كثيراً في المدينة تحت تأثير عوامل جديدة ، ولأسباب عديدة أوجدتها الظروف وأدى إليها حب النبيﷺ لوطنه الأصلي وأهله وذويه ، إلى غير ذلك من الانفعالات النفسية والعوامل السياسية التي ظهرت بعد موقعتي : بدر وأحد، وحصار المدينة، وكان من نتيجتها أن النبي ﷺ أخذ يلطف من سياسته نحو إخوانه المكيين .

كما أن أصحاب السلطة في مكة – يقول هذا المستشرق – رأوا بعد ما أصابهم في موقعة بدر، وما لحق بتجارتهم من خسائر أن يتساهلوا في أمور كثيرة، مع النبي على شروط تضمن لهم بقاء الكعبة والحج وعكاظ على ما كانت عليه قبل الإسلام ، وأن يشملهم بالعفو –

إلا بعض أشخاص – ويشركهم في عمله الجديد الذي أخذوا يتوقعون فيه خيراً لأنفسهم .

وربما كان من شروط التفاهم أن يبقى الرسولﷺ في المدينة وأن لا يتعرض في كلامه لأمورهم المادية، فكانت الحديبية، وسياسة تأليف القلوب ، أو بعبارة أخرى سياسة التسامح والتساهل والتبادل ، فصار الناس ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾. لا عن اعتقاد بصحة الدين الجديد الذي لم يكونوا يعرفون عنه إلا الشيء القليل ، بل عن رغبة في التقرب من أصحاب السلطة الجدد، وحفظاً لمراكزهم القديمة، وثروتهم المجموعة في أجيال .

ويخيل إليّ – يقول جوزي – أن من جملة الشروط التي اتفق عليها الطرفان في الحديبية أن يكف النبي عن القدح في الملأ المكي وأن لا يحرض صعاليك العاصمة الحجازية وأرقائها عليهم ، وهذا أحد أهم أسباب خلو السور المدنية من العبارات القارصة والطعن في سكان مكة [١] .

وهذا النص كما يبدو للقارئ يطفح بالحقد اليهودي والماركسي ، حيث المصالح المادية هي التي تحرك التاريخ وليست المبادئ والقيم ، ثم إنه يزعم أن أهل مكة قد دخلوا في دين محمد أفواجاً لا عن قناعة ولكن لمجرد التقرب من أصحاب السلطة ، وإذا صح ما يزعم فلماذا بعد وفاة صاحب السلطة لم يرتدوا عن هذا الدين .

---

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص٤٩ – ٥٠ .

أما زعمه بأن السور المدنية خالية من ذكر المشركين حسب الاتفاقية المبرمة بين الطرفين فأظنه عارٍ من الصحة فإن من يتصفح مثلاً سورة الأنعام يجد أنها تتحدث في كثير من آياتها عن الشرك والمشركين وعاقبتهم في الآخرة ، صحيح أن السور المدنية قد ركزت كثيراً عن الأمور التشريعية وكيفية بناء الدولة الوليدة ، لكنها لم تغفل قط أمر التوحيد الذي جاء من أجله رسول الله، أما أن الرسول استبقى على الكعبة والحج وعكاظ .

فما سمعنا قط أن النبيﷺ كان يضع ضمن أهدافه هدم بناء أبيه إبراهيم ، وأما الحج فلا خلاف في أنه شعيرة منذ عهد إبراهيم وأن العرب كانوا قد استبقوا على بعض معالمه مع بعض السلوكيات الشركية التي ألغاها الإسلام .

وسوق عكاظ فهذا شأن تجاري لا علاقة له بالدعوة خاصة وأن رواده بعد أن دخلوا في الإسلام سوف يقيمون البيع والشراء على الهدي الإسلامي الحنيف .

ولعل هدف هذا اليهودي الأساسي هو إنكار نبوة النبي والقول ببشرية القرآن ، وهي نغمة طالما دندن حولها كل المستشرقين اليهود كما سبق بيانه .

ويريد هذا المستشرق أن يدلل على أن الإسلام ليس ديناً سماوياً وإنما هو مجرد ثورة اجتماعية قادها أحد المصلحين ، ولذا نراه في كتابه يشير كثيراً إلى النبيﷺ باسم (المصلح العربي) .

ولم يكتف جوزي بنفي النبوة عن النبي محمدﷺ واعتباره مجرد مصلح اجتماعي وإنما يتهمه بالفشل في حركته الاجتماعية، فيقول: (إن حالة النبي الاجتماعية في المدينة تغيرت - كما هو معلوم - تغيراً ظاهراً أدى إلى تغير نفسيته ، فكان من نتائج هذا التغير ومن الأسباب التي ذكرنا بعضها (يقصد تفاهم النبي مع أهل مكة كما زعم) أن بعض إصلاحات النبي كانت مبتورة وفيها شيء من التساهل ، وكان التفاهم الذي حدث بين النبيﷺ كطرف أول ، وملأ مكة ممثلاً في أبي سفيان طرف ثان ، سبباً في إهمال الطرف الثالث وهم الفقراء ، وهو الطرف الذي استعرت الحرب بين الطرفين لأجله وظهرت الدعوة لتحسين أحواله فقد أرضوه في بادئ الأمر بشيء من الصدقات والزكاة ، ثم نسوه أو تناسوه بعد وفاة النبي وخلفائه الأولين فرجع - أي الطرف الثالث - إلى حالته الأولى بل إلى ما هو أسوأ منها) (١).

ولا شك أن كلام هذا المستشرق يعد أسوأ نموذج للانحراف العلمي الموضوعي من جانب مستشرق لأنه كان يؤمن بفكرة مسبقة هي (المادية التاريخية) فحاول تطبيقها على الدعوة الإسلامية ، مستدلاً على ذلك بمعلومات من نسج خياله ومتعسفاً في تأويل البعض الآخر .

وقد نسي هذا اليهودي أو تناسى أن كثيراً من السابقين الأولين كانوا من أغنياء مكة كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وأبي بكر الصديق ، وأن هؤلاء الأوائل كانوا يضحون بأموالهم في

---

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص٥٠ - ٥٣ .

سبيل الدعوة وليس في سبيل مصلحة مادية كما يزعم هذا اليهودي .

كما أنه من الثابت تاريخياً أن الأوس والخزرج حين استقبلوا المهاجرين آووهم ونصروهم، وشاركوهم في أموالهم ، كل ذلك ليس من أجل كسب مادي ، بل من أجل مبدأ أهم وأسمى من كل شيء ألا وهو الإسلام (١) .



(١) أنظر لذلك كتاب أضواء على الاستشراق ص٩٦ - ٩٧ .

الشريعة الإسلامية ودعوى اقتباسها

إحدى صور تصفية الإسلام وتجريده من خصائصه في كتابات المستشرقين مازعمه المستشرقون وخاصة اليهود منهم، أن الفقه الإسلامي متأثر إلى حد كبير بالقانون الروماني وبعضهم لا يكتفي بمجرد التأثر بل يذهب إلى أبعد من هذا ويدعي أن الفقه الإسلامي هو القانون الروماني ، مع تعديلات طفيفة أدخلت عليه ، وقد استندوا إلى دليل عندهم مكون من شقين :

الأول : أن القانون الروماني أسبق وجوداً من الشريعة الإسلامية.

الثاني : وجود بعض التشابه في الأصول والقواعد بين القانون الروماني والفقه الإسلامي .

وقد فنّد الدكتور المطعني هذه الدعوى قائلاً : إن مجرد التشابه لا يكفي دليلاً وكون القانون الروماني أسبق وجوداً في التاريخ ليس معناه أن الفقه الإسلامي أخذ عنه، وإلا لكان كل سابق في التاريخ أصلاً لكل لاحق ، وهذا بعيد كل البعد عن المنهج العلمي الصحيح .

ثم يورد الدكتور المطعني عن أحد علماء القانون في الغرب وهو الفرنسي (زيس) الذي يقول : إني أشعر حينما أقرأ في كتب الفقه الإسلامي أني نسيت كل ما أعرف عن القانون الروماني ، وأصبحت أعتقد أن الصلة منقطعة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني ، فبينما يعتمد قانوننا على العقل البشري تقوم الشريعة الإسلامية على

الوحي الإلهي فكيف يتصور التوفيق بين نظامين قانونيين وصلا إلى هذه الدرجة من الاختلاف (١) .

ولا شك أن المستشرقين وخاصة سانتلانا وجولدزيهر وفنسنك وشاخت يعلمون جيداً مدى الفروقات بين القانون الروماني والشريعة الإسلامية ولكنه الحقد على الإسلام والمسلمين حين يحاولون أولاً الطعن في سماوية الشريعة ، وثانياً سلب العقلية الإسلامية عن كل نشاط علمي وذلك بالادعاء أنهم عالة على غيرهم .

ولا شك أن المستشرقين مع اتفاقهم على الحقد على الإسلام وأهله بيد أنهم اختلفوا حول مصدرية الشريعة .

سانتلانا ودعوى اقتباس الشريعة من القانون الروماني :

دافيد سانتلانا (١٨٥٥- ١٩٤١) اليهودي السياسي المولود في تونس من أصل أسباني وكان أبوه قنصلاً لبريطانيا في تونس .

وقد ظهرت مقدرته السياسية حين أصبح - وهو في السادسة عشر- سكرتير اللجنة الدولية لشئون تونس المالية .

وقد انتدب عام ١٨٩٦ ليكون عضواً في اللجنة المكلفة بتقنين القوانين التونسية باعتباره متخصصاً في الشريعة الإسلامية .

ثم طلبت منه الحكومة الإيطالية وضع التشريعات الخاصة بليبيا .

---

(١) افتراءات المستشرقين ص١٥١ .

شبهاته :

وعلى الرغم من محاولته الدائمة لإخفاء صهيونيته وذلك من خلال التعاطف مع بعض القضايا العربية إلا أن الرجل قام بعدة محاولات في كتابه عن الشريعة الإسلامية لبيان أن الشريعة مأخوذة من التشريع الروماني والأوروبي .

ولا شك أن هذه الشبهة قد باتت أمراً مغلوطاً خاصة إذا علمنا أن الفقهاء المسلمين لم يطلعوا على القوانين الرومانية .

وإذا كان ثمة نوع من التشابه فإن ذلك ناتج عن الاتجاه الاجتماعي في بعض الفروض التي يمكن أن تكون استجابات فطرية بشرية مثل حرمة الدماء والأعراض والأموال والبينة على من ادعى .

والأبحاث التي قدمّها سانتلانا أخذت طابعين :

أحدهما : طابع استعماري في كل من تونس وليبيا ضمن القواعد التشريعية والفقهية ، التي حاول الاستعمار نشرها والعمل بها.

ثانيهما : طابع الإحياء الروماني في تقنين الأحكام العلمية ، وفي كلتا الحالتين فإن سانتلانا غارق في السياسة الاستعمارية .

جولدزيهر والشريعة الإسلامية :

كما يزعم جولدزيهر أن الشريعة الإسلامية مستمدة من القانون الروماني حيث يقول : (إن المسلمين لما فتحوا هذه البلاد حكموها بما فيها من تقاليد وقوانين بعد أن حوروا هذه التقاليد والقوانين وأضفوا

عليها من عندهم صبغة دينية ، ثم جعلوها أحاديث شريفة ونسبوها إلى نبيهم)، ثم يقول: وليس غريباً أن تكون هذه التعاليم الفقهية والتفصيلات المستعملة قد تأثرت كذلك بثقافات أجنبية ، كما أن المعارف الفقهية الإسلامية تحمل على سبيل المثال – كما حقق ذلك البحث الحديث تحقيقاً ثابتاً – آثاراً غير منكورة من الفقه الروماني سواء في ذلك من ناحية الطريقة ، أو من ناحية الأحكام الفرعية (١) .

وهذا الكلام غير العلمي وغير الدقيق من جولدزيهر قد قام – زيادة على كرهه وحقده لكل ما هو إسلامي – على فكرة الأشباه والنظائر التي أوقعت كثيراً من الباحثين في شراك التأثر والذي طبقوه حتى على الكتب السماوية – كما أسلفنا .

ولا ريب في أن هناك بعض الشبه بين بعض القضايا في القانون الروماني والشريعة الإسلامية ، لكنه لا يعني أن هذه القضايا قد أخذت من القانون الروماني ذلك أن الشريعة الإسلامية قد أغنت أهلها عن أن يتلقفوا أي تشريع آخر .

فنسنك وأركان الإسلام :

الصلاة التي هي عماد الدين الإسلامي يزعم المستشرقون اليهود أن النبي أخذها من اليهود والنصارى ، حيث يقول المستشرق فنسنك :

والصلاة أخذها محمد ﷺ من اليهود والنصارى وجيرانه ولما لم يكن بين يديه أول الأمر المادة الوافية لهذه الشعيرة ، وكانت تعوزه

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة للغزالي ص٧٢ .

النصوص التي يتلوها اليهود والمسيحيون في صلاتهم، وأن الصلاة أول الأمر كانت مرتين في اليوم ثم أضيفت الصلاة الوسطى في المدينة محاكاة لليهود، ثم أصبحت خمساً بأثر فارس في قول (جولدزيهر) وختاماً فإن الصلاة احتفظت بالعادات القديمة والعادات الشائعة وبعض سنن الجاهلية [(١)] .

ولا أدرى أي وجه للشبه بين الصلاة في الإسلام والصلاة في الجاهلية أو اليهودية ، ثم لا أدري على أي مصدر استند هذا اليهودي والذي ملأ عباراته بما يفيد التأكيد، وكأن الرسولﷺ يقف على قارعة الطريق ليلتقط من كل وارد ركناً يضيفه في صلاته .

ولسنا في حل للرد على هذه السخافات فقط نكتفي بأن الصلاة قد فرضت قبل الهجرة بما فيها الصلاة الوسطى .

ثم إذا كان هناك اتفاق في بعض هيئات الصلاة بين الإسلام وغيره من الأديان السماوية فتلك من بقايا ما تبقى من هذه الأديان صحيحاً ، والقرآن أقر بأنه قد فرضت الصلاة على الأمم السابقة مع اختلاف في التفاصيل كما قال تعالى للسيدة مريم : ﴿ **يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ .

أن يقال أن هناك أوجه شبه فهذا قد يكون لكن أن يقال أن هناك تأثيراً فهذا مرفوض بكل المقاييس .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٤/ ٢٧٧ .

يقول المستشرق اليهودي فنسنك : إن النظام المحدد للصلاة يوم الجمعة والعيدين إنما نشأ بعد وفاة النبيﷺ وهذا النظام يعتمد على ثلاثة عناصر : الخطبة الجاهلية والسنة والمثل المستقاة من اليهود والنصارى (١) .

ولا شك أن هذا التخبط في الحكم مصدره نابع من الحقد الذي يعمي عن أبسط قواعد المنهج العلمي ، ذلك أن القرآن وهو الدستور الخالد قد ذكر أن صلاة الجمعة من الفروض التي أمر الله بها المسلمين ثم إن الكيفية التي أتت من فعل النبيﷺ وليس كما يزعم هذا اليهودي .

شاخت والشريعة الإسلامية :

زعم المستشرق اليهودي جوزيف شاخت أن السنة النبوية بأنواعها الثلاثة القولية والعملية والتقريرية ظلت بمنأى عن التشريع الإسلامي لا يلتفت إليها ولا يعمل بها وليست معدودة مصدراً للتشريع لا في عهد النبيﷺ ولا عهد الخلفاء الراشدين الأربعة ولا في عهد كبار التابعين ، وإنما يرجع الفضل في جعل السنة مصدراً ثانياً للتشريع إلى الإمام الشافعي ﷺ ثم أدرجها الفقهاء بعد الشافعي ضمن مصادر التشريع .

والهدف الذي يرمي إليه شاخت وأمثاله هو التأكيد على أن المصدر الثاني للتشريع هو عنصر بشري دخيل وليس أمراً أنزل به وحي من عند الله (٢) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٣٨٥ .

(٢) يقول النبي ﷺ « **إني أوتيت القرآن ومثله معه** » .

وما دام الأمر كذلك فلا حرج في إهمال السنة وعدم التقيد بأوامرها ونواهيها [١] .

ولا ينسى (شاخت) أن يتهم الإمام الشافعي بعدم الأمانة العلمية .

ولا أدري - على فرض صدق شاخت - هل كان المسلمون من زمن النبي ﷺ إلى عصر الشافعي يصلون الصلوات الخمس أم لا ؟ ويزكون أم لا ؟ وكيف كانوا يحجون بيت الله الحرام ؟ وعن ماذا كانوا يصومون ؟

إن الهدف واضح وهو الطعن في السنة النبوية كما طعنوا في القرآن ، وأيضاً الطعن في أئمة المسلمين ، كالشافعي كما طعن جولدزيهر في الإمام الزهري ، ماذا يبقى لنا بعد ذلك، وهل هذا هو البحث العلمي المجرد، وهل هذه هي الأمانة العلمية ؛ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر .

الاجتهاد في الشريعة والمستشرق شاخت :

يزعم شاخت أن الاجتهاد ليس من مبادئ الإسلام حيث يقول : (والاجتهاد في أداء فرض ديني أو إصدار حكم مطابق للشريعة الدينية يوجب على الأخص ثواباً واحداً ، حتى وإن كان الحكم الذي انتهى إليه خطأ ، أما إذا كان صحيحاً فثمة وعد بثوابين أو عشرة ، ويظهر أن أقدم رواية في هذا الصدد نشأت حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة) [٢] .

---

(١) افتراءات المستشرقين ص١٦٣ .

(٢) الدائرة ٢/ ٢٣٦ .

والحقيقة أن رواية (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) رواية صحيحة لا مجال للشك فيها، حيث وردت في البخاري ومسلم .

أما السبب الحقيقي وراء الطعن في هذه الرواية كما يقول أحد الباحثين هو: أن من مزايا الإسلام الحث على الاجتهاد وأن صاحبه مأجور إذا اجتهد ، سواء أصاب أم أخطأ وهذا تحفيز من الإسلام نحو التدبر والتعقل ، وهذا مفتقد عند أهل الكتاب مما تسبب في حسدهم لهذا الدين (١) .

بيرجر والشريعة الإسلامية :

ويربط المستشرق اليهودي (مورو بيرجر) في كتابه (العالم العربي اليوم) بين الدين والبيئة فإذا تطورت البيئة تطورت القيم .

فالشريعة الإسلامية نشأت متأثرة بالبيئة العربية من حيث اهتمامها بالكرم عندما كانت البيئة بدوية رعوية ، هذه البيئة التي قامت على الحاجة إلى الأمطار فنشأت فيها سجية الخوف من الله الذي يحجب المطر فيحل بالقوم جوع ومرض وموت .

والقصاص جاء ليشبع مفهوم الثأر في المجتمعات الصحراوية ، وهذه كلها تتطور في المجتمع الصناعي الذي عرف شيئاً كثيراً عن تطبيقات علم النفس والمبادئ الإنسانية فلم يحتج إلى مبدأ القصاص لأنه سيراعي جانب المجرم (٢) .

---

(١) العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف ص٥٥٦ .

(٢) الاستشراق والدراسات الإسلامية ص٨٦ .

ولم يعد يهتم بالخوف من الله لأن وسائل الحصول على الماء متوافرة ، ولم يعد بحاجة إلى الكرم لأن كلاً مشغول بحياته المتطورة .

ولسنا في مقام يسمح بالرد تفصيلاً على هذه الافتراءات لكن يكفينا القول أن (بيرجر) ليس له سند تاريخي يرجع إليه اللهم إلا فكرة مسبقة وهي عدم سماوية الدين الإسلامي .

ثم إن الخوف من الله عند المسلم لا يرتبط بظاهرة طبيعية ، بل هو مع المسلم في كل حال ، وكون المسلمين قد انشغلوا عن مبادئ الإسلام فلا يحسب ذلك على الإسلام، بل إن ذلك خطأ في الممارسة والتطبيق، ثم من قال إن الكرم وغيره من الأخلاقيات الإسلامية قد انعدمت من الساحة الإسلامية .

كما يدعي بيرجر أن الشريعة الإسلامية توجيهات خلقية أكثر منها تشريعات وأن العقوبة على مخالفتها تأتي ثانوية في الإسلام ، وتقوم بها الدولة التي لم تنشأ إلا في وقت متأخر (١) .

وهي ثلاث مكرات استشراقية في عبارة واحدة كما يقول الأستاذ محمد قطب :

الأولى : قلب المزية إلى عيب فإن من المزايا العظمى لهذا الدين أنه دين أخلاقي .

الثانية : زعمه أن عقوبة المخالفة عن أمر الشريعة ثانوياً في اعتبار الإسلام. فعلى أي أساس استند هذا المستشرق ومن المعلوم

---

(١) كتاب العالم العربي اليوم ص٢٥ .

أن الرسول ﷺ لم يتساهل في حد من حدود الله قط ، كما هو مشهور في قصة المخزومية .

الثالثة : أن تطبيق الشريعة جاء متأخراً حين قامت الدولة ، وهو بهذه المكرة يريد أن يصل إلى أمر في نفسه وهو أن الاهتمام بالتشريع جاء في نهاية القرن الأول حين احتك المسلمون بحضارات راقية فأخذ منها .

هذا هو الهدف الأساسي عند المستشرقين اليهود أن الشريعة الإسلامية منقولة عن القانون الروماني ، كما زعم من قبله جولدزيهر وشـــاخت ومرجليوت في الكتاب نفسه يتحسر بيرجر على الفتاة المسلمة التي لا تجد الحرية التي تتيح لها ممارسة الجنس قبل الزواج مثل أختها الغربية التي نالت هذا الحق ، بل إنه يتجاوز كل الأعراف العلمية حين يبدي أسفه على أمر الشريعة في التفرقة بين الرجل والمرأة حيث تبيح الشريعة للمسلم الزواج بالكتابية بينما لا تجيز للمسلمة أن تتزوج بغير مسلم ، ثم إن الرجل يستطيع أن يتزوج بأكثر من واحدة بينما لا يباح للمرأة المسلمة أن تتزوج إلا من رجل واحد !!

هل رأيتم أعجب من هذا الذي يقول به بيرجر ، ففي أي دين أو نظام يكون للمرأة أكثر من زوج في وقت واحد حتى يقال إن الإسلام قد ظلم المرأة [١] .

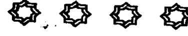
---

(١) المستشرقون والإسلام ، للأستاذ محمد قطب ص٢٧٧ ، مكتبة وهبة – القاهرة .

وعن تطبيق الشريعة يزعم بيرجر أن السر في تخلف المسلمين يرجع إلى تطبيق الشريعة وعدم فصل الشريعة عن السياسة .

وأن الخلط بين الشريعة والسياسة في الإسلام أدى إلى خلط الالتزامات السياسية والأخلاقية ومنع الوصول إلى النضج الذي وصل إليه الغرب حين فصل الالتزامات المدنية والفكر السياسي عن الدين [١] .

والحقيقة التي يعرفها الغربي قبل غيره أن هناك عوامل أدت إلى فصل الدين عن الدولة في الغرب منها الطغيان الكنسي ، والصراع مع العلماء ومحاكم التفتيش وصكوك الغفران وهي كلها معدومة في الوسط الإسلامي .



(١) العالم العربي اليوم ص٢٦٦ ، نقلاً من المستشرقون والإسلام ص٢٨٨ .

المستشرقون اليهود والتاريخ الإسلامي

إن المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك من تحريف التاريخ الإسلامي وتشويه مبادئ الإسلام وثقافته ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه والانتقاص من الدور الذي قام به الإسلام في نهضة التاريخ الإنساني ، والمستشرقون كلهم مشتركون في هذا القدر والتفاوت يكون في درجة الحقد على الإسلام ، لكنهم جميعاً أعداؤه (١) .

إن كتابات المستشرقين عن تاريخ الإسلام قد ثبت اضطراب كثير منها وفساده وأحصيت أخطاء كثيرة لأعمال الاستشراق في مجال التاريخ .

- أخطاء دائرة المعارف الإسلامية .
- أخطاء المنجد .
- أخطاء تاريخ الشعوب الإسلامية لبركلمان .
- أخطاء كتابات تاريخ العرب فيليب حتى .
- أخطاء كتابات جولدزيهر ولامانس ومنتجمري .
- أخطاء موسوعة تاريخ الجنس البشري التي تصدرها مؤسسة اليونسكو (فصلاً عن العرب والمسلمين) وهو مليء بالشبهات والسموم والتشويهات .

---

(١) المبشرون والمستشرقون ص٣٧٩ للدكتور/ محمد البهي .

ولقد ظل المستشرقون يتناقلون أسخف الأساطير عن الإسلام يقصدون تشويه الحقيقة وطمسها ، عن الرسولﷺ ، وتدور الشبهات حول عدد من القضايا أهمها :

- القول بأن القرآن من تأليف محمد .
- وأن الأحاديث النبوية من صنع الفقهاء .
- وأن الشريعة مقتبسة من الديانات الأخرى .
- وأن القانون الإسلامي مقتبس من القانون الروماني .
- وأن الفتوحات ليست إلا مطامع في الغنائم .
- وأن الخراج والجزية هما اللذان اضطرا الذميين إلى اعتناق الإسلام (١) .

ولقد جاء تفسير المستشرقين اليهود للتاريخ تفسيراً مشوهاً لأنهم أقاموه على الهوى والتزييف للحقائق لإقرار فكرة ليست لها في الفطرة الإنسانية تقبلاً ولا في العلم الصحيح مكاناً، هي فكرة السيطرة العرقية باستعلاء العنصر والدعوى باسم شعب الله المختار وبتزييف وعد الله لإبراهيم وأمته، وقصره على إسرائيل وحده وإنكار إسماعيل وفرعه).

ومن هنا رأينا أن التفسيرات الوافدة كلها للتاريخ تحمل أهواء وتسوقها أغراض وتقدم شبهات زيوفاً ونظريات لا تثبت كثيراً أمام الحقيقة .

---

(١) تاريخ الإسلام ص٨٤ .

وقد استهدف المستشرق اليهودي في فرض تصوره للتاريخ الإسلامي عدة أمور:

أولاً : تصوير التاريخ الإسلامي وكأنه مليء بالدسائس والمؤامرات محشواً بالدعارة والترف متسماً بالانشقاق والتمزق كما يصور الخلفاء بصورة المتنازعين على السلطة والخلافة .

والوجهة في كتابات هؤلاء جميعاً تحمل طابع الاتهام ولا تقر مرحلة من المراحل أو موقفاً من المواقف ، فالعباسيون غارقون في الترف والأمويون متسلطون على الرقاب ، وحيثما تصور كل مراحل التاريخ الإسلامي بالضعف والتمزق تصف حركات القرامطة والزنج بأنها حركات تقدمية ودعاة عدل ، وأن هؤلاء المتآمرين على الإسلام هم حركات من صميم الإسلام (١) .

ثانياً : يعمد هؤلاء المستشرقون إلى محاولة تصوير التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ العرب ، والواقع أن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ليس تاريخ ولا حضارة العرب وحدهم ، ولكنه تاريخ الفرس والسلاجقة والمماليك والأتراك والمغول والبربر وأنه صنع في إطار الإسلام ، وأن الحضارة قامت على مفهوم الإسلام .

ثالثاً : التوسع في مسألة الحروب الإسلامية لإظهار أن الدين قد انتشر بالسيف، وهي مغالطة كبرى ، إذ الحروب الإسلامية لا تمثل شيئاً إذا ما قيست بغيرها .

---

(١) تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ص١٤٨ .

رابعاً : محاولة إظهار أن الجفاف والفقر والغنائم هي دوافع الفتوحات الإسلامية .

خامساً : محاولة ترديد الإدعاء بأن المسلمين لم تكن لديهم حضارة ولا ثقافة وأنهم كانوا مهرة في نقل الحضارة إلى بلادهم (١) .

إن حركة الاستشراق حرصت على البحث عن وجوه الخلاف ونقاط الضعف والروايات الضعيفة حول الشبهات والعمل على إعلائها وإذاعتها ، بل ذهبت هذه القوى إلى تمجيد الفئات التي تمردت على الشرعية أثناء مسيرة التاريخ الإسلامي وخلع صفات البطولة عليهم مثل الاهتمام بالتمرد الذي قام به بابك الخرمي ، أو الفوضى التي أثارها الزنج ، أو التخريب الذي انتهجه القرامطة .

يقول الدكتور مصطفى الشكعة : إن بعض الأوساط أصدرت كتباً تدخل من خلالها في روع الناشئة أن جماعة القرامطة جماعة إسلامية، استهدفت إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس، في الوقت الذي تقول فيه وقائع التاريخ أن القرامطة هم العصابات التي أسالت دماء المسلمين أنهاراً وقتلت النساء والشيوخ والأطفال واستباحت الأعراض والمحارم وهاجمت مكة في موسم الحج وسرقت الحجر الأسود وردمت بئر زمزم بجثث حجاج بيت الله الحرام .

ويعلل الدكتور أحمد شلبي الدافع من وراء هذا التشويه الذي يمارسه المستشرقون في هذا الميدان فيقول : اتجه أكثر المستشرقين في كتابة

---

(١) تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ص١٥٠ .

التاريخ الإسلامي اتجاهاً يثير الفتنة بين المسلمين ويضعف كيانهم ويصور لهم تراثهم تصويراً تشمئز منه النفوس ، فأسرفوا في تصوير الصراع بين بني أمية من ناحية وبين علي والشيعة من ناحية أخرى ، لنغفل عن تاريخ الأمويين لأن به رجالاً يمكن الافتخار بهم ، وهاجموا تاريخ الأتراك العثمانيين ، ولم يدعوا وسيلة للحط منهم إلا أقدموا عليها .

ولا يخفى على كل بصير ما للأتراك العثمانيين من فضل في نشر الإسلام في ربوع أوروبا، كما لا يخفى دور السلطان عبدالحميد التركي في الحفاظ على مقدسات المسلمين واعتراضه على مجرد السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين .

فخطة الاستشراق في التاريخ الإسلامي تقوم على التآمر والدس والكيد وقلب الحقائق وتزييف الصحائح والتركيز على الجوانب السلبية وإهمال الصفحات المضيئة .

وكذا التركيز على انتشار الإسلام وتوسعه ويزيفون الظروف والأوضاع التي حققت للإسلام هذا الانتشار السريع الواسع ، مع إثارة الشبهات حول فقر الجزيرة وأن المسلمين خرجوا للرزق وطلباً للغنائم، كما ركزوا على التقليل من شأن الصحابة ، وانتقاص قدرهم وفتح طريق الهجوم عليهم ، مما حمل الدكتور طه حسين بعد ذلك إلى أن يقوم بنفس الدور في كتابه الفتنة الكبرى .

المستشرقون اليهود و (ابن سبأ) :

وكان لابن سبأ اليهودي دور كبير في إثارة الخلافات ، ومع ذلك حاول المستشرقون التقليل من شأن عبدالله بن سبأ بل ذهب البعض إلى إنكاره تماماً ، وقد ردد الدكتور طه حسين هذه المعاني ، بينما تكشف الوثائق التاريخية أن ابن سبأ كان أحد حلقات التآمر اليهودي على دولة الإسلام .

لقد أخذ طه حسين مفاهيم الاستشراق اليهودي في إنكار عبدالله بن سبأ وتبنى شبهات مرجليوس وجولدزيهر في القرآن المكي والقرآن المدني وإنكار إسماعيل وإبراهيم واعتمد جرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي على مصنفات جولدزيهر ونقل نقلاً من دائرة المعارف الإسلامية .

الخلاف بين الصحابة :

لم يستغل الاستشراق أمراً من أمور التاريخ الإسلامي كما استغل الخلاف بين الصحابة، والتي بدأت في أواخر ولاية عثمان وبين ولاية علي ومعاوية ، فقد اتخذت مجالاً لبسط عدد من الشبهات ولإثارة مشاعر المسلمين بتصوير الموقف على أنه نحو من أنحاء الخلاف العنيف والصراع الشديد ، وأنه كان صراعاً من أجل المطامع والأهواء ، ناسين أو متناسين أن هؤلاء هم السلف الذين يقتدى بهم وهم الصحابة خير القرون .

ولذلك فإن محاولة الاستشراق في إفساد هذه المرحلة وإثارة الشبهات حولها والاعتماد على بعض النصوص الزائفة أو التي لم تصح إنما كان يستهدف تدمير هذه الصورة الرائعة التي أقامت دولة الإسلام ، ودفعته إلى حدود الصين شرقاً وإلى حدود فرنسا غرباً .

أسباب الهجرة لدى المستشرقين :

إن القول بأن المسلمين هاجروا إلى المدينة أو خرجوا من الجزيرة لأن الصحراء مجدبة دعوى باطلة ، ورأي فاسد لأن خروج المسلمين من مكة حين هاجروا إنما كان بدافع الإيمان العميق الذي ملك عليهم جميع نفوسهم، ودفعها إلى التضحية لهذا تركوا ثرواتهم وآلهم ودورهم في سبيل إعلاء كلمة الله ، وهم أيضاً الذين اندفعوا لنشر الإسلام من أجل إبلاغ العالمين كلمة التوحيد، فالعقيدة هي التي حركتهم أولاً وآخراً وليست الحاجة أو العوز كما يقول هؤلاء المستشرقون من أمثال فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب وكيتاني وبيرك .

بل إن توماس أرنولد صاحب كتاب الدعوة الإسلامية الذي عرف بالإنصاف لم يستطع أن يستوعب الحقيقة فقال : (ويعتبر توسع الجيش العربي على أصح تقدير هجرة جماعية نشيطة قوية البأس دفعها الجوع والحرمان إلا أن تهجر صحاريها المجدبة وتجتاح بلاداً أكثر خصباً كانت ملكاً لجيران أسعد منهم حظاً) (١) .

---

(١) تاريخ الإسلام ص ١٠١ .

وهذا نفس ما ردده من قبل رستم قائد الجيش الروماني أمام خالد بن الوليد ، حين قال نعلم نحن معشر الروم أنه لم يخرجكم من بلادكم أيها المسلمون إلا الجوع والقرى .

مرجليوث وتزوير الشعر :

من أبرز مظاهر التشويش والتشكيك التي أثارها فريق من المستشرقين ما أثاروه حول الشعر الجاهلي بدعوى أنه مزور مكذوب على العرب في الجاهلية ، وقد تبنى هذه الفرية اليهودي مرجليوث أستاذ الدكتور طه حسين .

والهدف من هذه الدعوى كما يقول الدكتور عبدالعظيم المطعني هو إصابة الإسلام في مقتل ، فمرجليوث بإثارته هذه الفكرة كان بمثابة من "سخن الحديد وآلانه". ثم طفق الدكتور طه حسين يطرقه ويصنع منه الأشكال التي أرادها "مرجليوث" واليهود جميعاً ورائه .

إذ لابد للتزوير من فاعل وهدف وراء فعله .

أما فاعل التزوير فقد حدده الدكتور طه حسين في كتبه (في الشعر الجاهلي) بأنه المسلمون الأوائل ، رجال القرون الثلاثة الأولى ، وأما الهدف من هذا التزوير كما يرى طه حسين ومرجليوث ، أن يستدل علماء الإسلام الأوائل على عروبة القرآن وعروبة الحديث .

والحقيقة أنه إذا صح – جدلاً – أن رجال القرون الثلاثة قد زورا الشعر الجاهلي معنى ذلك أنهم لم يكونوا أمناء في كل ما قالوه وفي كل ما دونوه ، معنى ذلك أن جمعهم للقرآن فيه شك، وجمعهم للحديث فيه

شك ، وما دونوه من كتب السيرة والتاريخ والأصول كل ذلك يصبح موضع شك [١] .

ولا شك أن هذا التخبط البادي في كلام المستشرق يجعل من البساطة بمكان إظهار تهافت هذه المزاعم، ذلك أن كثيراً من المستشرقين قد ذهبوا إلى تأثر القرآن بالشعر الجاهلي كما مر ، فأي الفريقين تصح دعواه ، الحقيقة أنه لا صحة لهذا ولا ذاك .

ذلك أن الدعوة الإسلامية في مهدها كان لها من الأعداء ما لو رأوا شبهة كهذه لاهتبلوها وأظهروها أمام الملأ ، ولكنهم آثروا المقارعة بالسيوف وهذا يشير إلى إفلاسهم في إقامة حجة كما يزعم المستشرقون .

دعوى انتشار الإسلام بالسيف :

كانت أكبر الشبهات التي وجهت إلى تاريخ الإسلام فرية انتشار الإسلام بالسيف ، والدعوى بأن الإسلام استولى على هذه البلاد التي دخلها عن طريق الحرب والقتال ، وهي محاولة لإثارة الشبهة حول طبيعة الإسلام ، وجوهر عملية الفتح التي قادها المسلمون ، ويستهدفون من ذلك الطعن في الإسلام والتقليل من شأن اندفاعته وإثارة الغبار حول أسلوبها الذي يختلف اختلافاً كبيراً عمل [٢] .

---

(١) افتراءات المستشرقين ص١٨١ .

(٢) هذا ما ردده بروفنسال اليهودي ومرجليوث وجولدزيهر وغيرهم والحق يقال إن هذه الفرية ليست مقتصر على مستشرقي اليهود .

والمتأمل لحركات الفتح الإسلامي يجد أنها لم تكن تستهدف سوى صد القوى المعادية المتسلطة التي تآمرت على الإسلام في الجزيرة العربية ، حاولت أن تتجمع للفتك به، وهذه القوى أيضاً كانت مكروهة من أهل تلك الأقطار لقهرها وظلمها تلك الشعوب . فجاءت القوة الإسلامية لتحرير تلك الشعوب دون أن تفرض علي هذه الأمم دين الإسلام ، بل تركت لها حرية العبادة، بعد أن أقامت عليها جواً من السلام والرحمة ، وأسلوب الحكم الإسلامي لهذه البلاد هو الذي دفع أهلها للدخول فيه واعتناقه .

وإن ما يدعو للسخرية حقاً ما يزعمه المستشرق اليهودي بروفنسال من أن المسلمين كانوا يكرهون انتشار الإسلام بدعوى أن ذلك يضر ببيت المال بسبب نقص الجزية [١] .

وكل ذلك من أجل أن يؤكدوا أن المادة هي المحرك الأول لانتشار الإسلام . وليست مبادئه السمحة ولا قيمه الرائعة وقبل كل ذلك عقيدته التي ليس فيها ما يتعارض مع الفطرة السليمة والعقل السوي .



(١) كتاب مستشرقون لنذير حمدان ص١٠٥ .

الخاتمة

وبعد فهذا بحث متواضع حول الاستشراق اليهودي وخصائصه وأباطيله حول العقيدة الإسلامية والوحي الإلهي والنبوة والشريعة الإسلامية، أردت من خلاله أن أوضح أن اليهود لم تنطفئ نار عداوتهم للإسلام والمسلمين على مرور الزمن وتقادم العهود . بل لم تزدهم الأيام إلا حقداً وحسداً على الإسلام وأهله . وأنهم قد استغلوا التيار الاستشراقي الذي بدأ صليبياً ونفثوا سمومهم وحقدهم لابسين عباءة التحقيق العلمي ومتظاهرين بالبحث عن الحقيقة . والتي بدأ من خلال البحث أنهم أبعد الناس عن الحقيقة العلمية .

ولا ريب أن ناساً من بني جلدتنا قد أخذوا الاستشراق على أنه قمة التجرد العلمي والبحث النزيه ، وقد بان من خلال هذا البحث تفاهة هذا المعتقد وتهافته حتى أنه بات واضحاً أن الاستشراق بجناحيه اليهودي والصليبي يعد حلقة من سلسلة التآمر على هذه الأمة . ومن هنا فنحن في حاجة ماسة إلى الإكثار من الأبحاث حول قضايا الإستشراق .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دكتور/ عبد العزيز المرشدي

مكة المكرمة

أهم المراجع

١) المستشرقون والدراسات الإسلامية – محمد مليباري، دار الرفاعي، -الرياض.

٢) حاشية على عبدالرازق على متن مرجليوت، أنور الجندي، مجلة منار الإسلام عدد ٥ ، للسنة ١١.

٣) دعوى تأثر الإسلام بالفقه الروماني، عبدالله الركبان ، مجلة أضواء الشريعة ، جامعة الإمام ، عدد ١٤ عام ١٤٠٣هـ.

٤) المستشرقون والقرآن، إسماعيل عبدالعال، رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٠هـ.

٥) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية ، ساس الحاج ، مركز دراسات العالم الإسلامي .

٦) الغرانيق، محمد بريري ، مجلة منبر الإسلام السنة ١٨ عدد ٤ ١٣٨٠هـ.

٧) الغرانيق والمستشرقون رؤوف شلبي ، مجلة الأزهر، شوال ١٣٩٩هـ .

٨) دراسات محمدية، جولدزيهر، ترجمة الصديق بشير نصر، مجلة كلية الدعوة ، ليبيا .

٩) المستشرقون والإسلام ، محمد قطب ، مكتبة وهبة.

١٠) أضواء على الاستشراق ، محمد عليان ، دار البحوث العلمية.

١١) المستشرقون ، نجيب العقيقي ، دار المعارف .

١٢) دائرة المعارف الإسلامية ، تأليف جماعة من المستشرقين .

١٣) اليهود من المهد إلى اللحد ، د/عبد العزيز المرشدي ، دار الندى ، القاهرة .

١٤) أضواء على الاستشراق والمستشرقين . د/محمد أحمد دياب ، دار المنار ، القاهرة .

١٥) الاستشراق والمستشرقون د/ عدنان وزان ، رابطة العالم الإسلامي

١٦) مستشرقون د/ ندذير حمدان، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية .

١٧) الاستشراق والدراسات الإسلامية ، د/علي النملة – مكتبة التوبة ، السعودية .

١٨) افتراءات المستشرقين على الإسلام ، د/عبد العظيم المطعني ، مكتبة وهبة .

١٩) الاستشراق والمستشرقون ، د/ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي.

٢٠) اليهود والتحالف مع الأقوياء ، د/ نعمان السامرائي ، دار الحكمة ، لندن .

* ** ** *

رقم الإيداع

٢٠٠٣ / ٦٣٧٣